المبحث الثالث

من معوقات التعايش مع الآخر

من السهل أن تسير على الطريق الرئيسي
ولكن الناس تفضل الطرق الفرعية المتعرّجة".
لاوتسو

obeikandl.com

تمهيد:

يبدأ التعايش مع الآخر بمعرفة الذات ثم معرفة الآخر؛ وهذه المعرفة هي الأساس الأولي الذي ينبني عليه التعايش معه، ومن غير المتصور أن يحدث تعايش بين فئات تجهل نفسها أو يجهل بعضها بعضا، أو تحمل أفكارا مشوهة أو ناقصة عن نفسها أو عن غيرها فالإنسان عدو ما يجهل.

وللتعرف الحقيقي على الذات وعلى الآخر ـ في رأيي ـ عدة مداخل من السهل أن تتحول إلى معوِّقات للتعايش عن عمد وعن غير عمد؛ ومن أهمها:

١. المدخل اللغوي.

٢. المدخل الثقافي.

٣. المدخل الديني.

٤. المدخل السياسي.

٥. المدخل الاقتصادي.

٦. المدخل النفسي.

٧. المدخل العرقي.

٨. المدخل الاجتماعي.

وهذه المداخل أو المعوِّقات متداخلة يصعب الفصل في كثير من الأحيان بينها؛ فقد تختلف الغاية عن الوسيلة[٣٤]؛ وقد تتعدد

(٣٤) يقول ريجيس دوبريه **Debray Régis** في وصف الحملات العسكرية التي شنها الرجل الأبيض على الهنود الحمر في القارة الأمريكية والتي كانت مصحوبة بحملات تبشيرية: "ذهبك في مقابل إلهي، أعطني الدراهم وإليك المطلق، إنني أنهب ولكنني في الوقت نفسه أهدي للحق". محمد سعيد ريان: جدل الواقع العربي والصراع على الذات، ص ١٢١.. فهنا نجد أن =

الوسائل لغاية واحدة، وقد تستخدم الوسيلة الواحدة لتحقيق أكثر من غاية؛ ومن ثمة كان فصلنا بين معوقات التعايش فصلا نسبيا.

وربما غلب على بعض هذه المعوقات الجهل بالحق وعدم التعمُّد، كما هو الحال في المعوقات اللغوية والثقافية وبعض نواحي المعوقات الدينية.

إلا أن هناك معوقات أخرى لم تتبن في كثير من نواحيها عند كثيرين من معتنقيها على جهل بالحق[٣٥] بقدر ما كانت استجابة لمصالح غير معلنة؛ كالمعوقات السياسية والاقتصادية والنفسية والعرقية....الخ. ويعبر الفيلسوف الصيني الشهير "لاو تسو" عن هذا النوع من المعوقات بقوله:[٣٦]"بالحد الأدنى من حسن الإدراك أسير على الطريق الرئيسي، ولا أخشى سوى الزوغان عنه، من السهل أن تسير على الطريق الرئيسي ولكن الناس تفضل الطرق الفرعية المتعرّجة". والقرآن الكريم يصرح في كثير من المواضع بأن "اختلاف كثير من الناس مع غيرهم لم يكن سببه الجهل أو عدم معرفة الحق، وإنما سببه العلم الذي استعملوه في البغي والظلم والعدوان"[٣٧] استجابة لمصالح: سياسية واقتصادية ونفسية

= الطمع في الذهب والدراهم هو الغاية التي أعاقت التعايش السلمي بينما كانت الوسيلة لتحقيق تلك الغاية هي الحرب ذات الشعارات الدينية.

(٣٥) ومن هنا نجد عند هؤلاء نفورا من الحوار، وإن وجد ففي غيبة عن أصوله وآدابه خوفا من أن يثمر معرفة للحق، وطمسا للهوى، فتفوت عليهم مصالح آثروها.

(٣٦) لاو تسو :التاو ،ص ٨٨ ،الفقرة.١٢٠:

(٣٧) انظر: محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، ص ١٣.

وعرقية....الخ [٣٨]. يقول تعالى:[٣٩]"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ". ويقول:[٤٠]"وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ". ويقول:[٤١]"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ"؛ ويقول تعالى في حق فرعون وآله لما رأوا الآيات:[٤٢]"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا"؛ ويقول تعالى في حق كثير من علماء بني إسرائيل بشأن معرفتهم صدق نبينا ﷺ:[٤٣]"يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ".

ومعوقات التعايش مع الآخر لا تنحصر فقط فيما أوردناه في دراستنا هذه، ولعل ما أوردناه يكون هو الأهم على الأقل من وجهة نظرنا.

---

(٣٨) لمزيد من التفصيلات انظر:
- عبد المنعم شحاته: خلافات المسلمين، رؤية نفسية، ص٧٣.
- عبد الواحد الأنصاري: مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام.
- جمال الحسيني أبوفرحة: الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، ص٩: ١٠، ٧٠: ٧٤.

(٣٩) البقرة: ٢١٣.
(٤٠) الجاثية: ١٧.
(٤١) آل عمران: ١٩.
(٤٢) النمل: ١٤.
(٤٣) البقرة: ١٤٦، الأنعام: ٢٠.

١ _ المعوِّقات اللغوية

"وكثيـر من النزاع يعود إلـى إطلاقات لفظية
لا إلى معان عقلية"

ابن تيمية

obeikandl.com

إن كثيرا من الخلافات سواء الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية تنشأ من عدم القدرة على فهم كلام الآخر أو من سوء فهمه[٤٤].

يقول ابن تيمية: "وكثير من النزاع يعود إلى إطلاقات لفظية، لا إلى معان عقلية"[٤٥].

ويسهم في إساءة التفاهم اللغوي بين بني البشر عوامل عدة منها:[٤٦] الجهل بلغة الآخر، ثم الارتكان إلى الترجمة، والخطأ هنا ليس في اللجوء إلى الترجمة وإنما في الارتكان إليها، فهناك فرق بين اللجوء والارتكان: فاللجوء يعني الاضطرار إلى الشيء مع العلم بإشكالاته ومشكلاته والحذر منها بقدر المستطاع، أما الارتكان فيعني الاعتماد عليه والاطمئنان إليه والرضى به[٤٧].. والترجمة[٤٨] ما هي إلا انعكاس لفهم المترجم للنص، أي هي نوع من التفسير، ولا يمكن لأية ترجمة مهما كانت دقتها أن تنقل

---

(٤٤) راجع: ـ ابن الشجري: ما اتفق لفظه واختلف معناه.
ـ مقاتل بن سليمان البلخي: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم.
ـ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن.
ـ جوزيف أوكونر وجون سيمون: مدخل إلى البرمجة اللغوية العصبية، ص ص ٢٣٥: ٢٨٦.

(٤٥) مجموع الفتاوى: ١٢/ ١١٥.

(٤٦) ولمزيد من التفصيلات حول هذه العوامل، انظر: جمال الحسيني أبوفرحة" :الحوار مع الآخر "ص٩٢: ١٢١.

(٤٧) قال القرطبي: "الركون حقيقة: الاستناد، والاعتماد، والسكون إلى الشيء، والرضا به". الجامع لأحكام القرآن تفسير الآية ١١٣ من سورة هود.

(٤٨) والترجمة تكون من لغة إلى لغة أخرى، وتكون من صياغة لغوية إلى صياغة لغوية أخرى بنفس اللغة، أي نقل الكلام بتصرف فيه.

جميع دلالات النص الأصلي القريبة والبعيدة.

ومما يسهم كذلك في إساءة التفاهم اللغوي بين بني البشر الخلط بين المعاني اللغوية، والمعاني الاصطلاحية، والمعاني المجازية، والخلط بين معاني الألفاظ والعبارات في اللهجات المختلفة؛ وكذلك اختصار بعض المعلومات اللازمة لتوضيح الكلام وإزالة اللبس عنه، كعدم تحديد الاسم أو الفعل المعني بالحديث، أو استخدام صيغ المقارنة دون ذكر المقارَن به، أو استخدام المصادر في غير محلها[٤٩]، أو اشتراك عود الضمير....الخ

ومن هنا تظهر أهمية التأكد من فهم الآخر لما نقول وفهمنا لما يقول؛ حتى لا نتنازع ودعوانا واحدة، فنقع فيما حذر منه النبي ﷺ بقوله:[٥٠]"لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة".

(٤٩) ويعتبر المصدر مستخدما في غير محله في حالة احتياج السامع إلى المعلومات المحذوفة من دلالة المصدر: كزمن الفعل، وفاعله؛ إن عبارة مثل: "التحاور مع الآخر خطأ كبير" لا تكشف عن الفاعل ولا عن زمن الفعل ومن ثمة تسهل إساءة فهمها.

(٥٠) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، وأحمد في المسند٢ / ٣١٣، ٥٣٠.

obeikandl.com

obeikandl.com

٢ _ المعوِّقات الثقافية

يقول تعالى:

"بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ
وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه"

(يونس:٣٩)

obeikandl.com

إن كثيرا من مظاهر التعصب والعداء بين بني البشر مردها إلى أن أتباع كل ثقافة جهلوا ما لدى الآخرين[٥١]، وحصروا أنفسهم في دائرة فكرية ضيقة خاصة بهم، وكانت النتيجة الحتمية لهذا الانكماش هو قناعة أرباب كل ثقافة بأن الحقيقة حكر عليهم وحدهم، وأنهم هم فقط المتمسكون بالحقيقة التي لا يجوز لأحد أن يفرِّط فيها أو يحيد عنها، ومن ثمة فمخالفهم: إما جاهل، وإما منافق يعلم الحق ويعدل عنه لدنيا يصيبها!. وكثيرا ما تصل هذه القناعة إلى درجة رفض الحوار مع الآخر كلية أو التشرط له شروطا غير معقولة، كاشتراط طرف بأن يسلم طرف آخر بما يرجوه من نتائج للحوار قبل بدئه[٥٢].

وفي ذلك يقول المثل العربي القديم: "من جهل شيئا عاداه"، وهو معنى قوله تعالى:[٥٣]"بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ". وقوله:[٥٤]"وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ".

وهو مسلك يبشر بانهيار أواصر التقارب وفرص التعايش بين أصحاب الثقافات المختلفة.

ومن هنا تبدأ الدعوات، سواء على مستوى الأفراد أو الأقوام لإلغاء الآخر بطريقة أو بأخرى؛ وإقصاء الآخر أو دمجه وتذويبه لا يمثل نهجا واقعيا في التعاطي مع الواقع[٥٥]، وذلك لما يلي:

(٥١) انظر: Michael Moore, Will They Ever Trust Us Again?, p 12.

(٥٢) انظر: د. جمال الحسيني أبوفرحة "الحوار مع الآخر"، ص ١٤٢: ١٨٣

(٥٣) يونس: ٣٩.

(٥٤) الأحقاف: ١١.

(٥٥) ولعل كتاب «صامويل هنتنجتون Samuel P. Huntington: (صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order وكتاب فرانسس فوكوياما Francis =

- إن الاختلاف سنة كونية.
- إن اختلاف الأشكال والأدوار بل والأهمية لا يعوق التوحد والتكامل بل يمدهما بأهم أسباب الوجود.
- إن حاجتنا للآخر كحاجة الآخر لنا.

١) إن الاختلاف سنة كونية[٥٦]:

يقول تعالى:[٥٧]"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ". ففي الاختلاف آيات ولكن للعالمين[٥٨]؛ واختلاف ألسنة بني آدام وألوانهم لا شك يمهد لتقبل فكرة اختلاف طرائق تفكيرهم أيضا.

ويقول تعالى:[٥٩]"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا

=Fukuyama، نهاية التاريخ والإنسان الآخير The End of History and the Last Man يعدان الأخطر والأكثر أهمية في عصرنا هذا في التأكيد على دعوات: الإقصاء والإلغاء والدمج والتذويب للآخر الثقافي. ولعل كتاب هارالد موللر Harald Muller تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنجتون Das Zusammenleben der Kulturen Ein Gegenentwurf zu Huntington وكذلك كتاب إنجمار كارلسون Ingmar Karlsson : الإسلام وأوروربا : تعايش أم مجابهة Islam and Europe _ confrontation or coexistence يأتيان في طليعة الكتب التي مثلت مشروعا مضادا لهذا الاتجاه.

(٥٦) راجع لمزيد من التفصيلات: د. جمال الحسيني أبوفرحة: السابق، أدب: المساواة بين المتحاورين في اعتبار حيازة الحقيقة، ص ٣٧: ٤٩.

(٥٧) الروم: (٢٢).

(٥٨) قرأ الجمهور بفتح لام العالمين، وقرأ حفص وحده بكسرها. انظر الشوكاني فتح القدير تفسير الآية ٢٢ من سورة الروم.

(٥٩) فاطر: ٢٧: ٢٨.

وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ". فالاختلاف بنص القرآن الكريم سنة كونية، وراؤها حكمة إلهية.

والنصوص النبوية التي تؤكد على أن الاختلاف سنة كونية وفيرة منها: قوله ﷺ: "الناس معادن"[٦٠]. وقوله ﷺ: "استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء"[٦١]. وهذا الحديث وإن كان يتحدث عن تأثيرات الاختلاف في الجنس على الفكر والسلوك، إلا أني أرى فيه إشارة إلى أن الاختلاف بكل أشكاله له تأثيراته على طبيعة الفكر ومناحي السلوك[٦٢].

ومن ثمة فالإلغاء من قبل أي طرف لا يغير شيئا من المسألة في طبيعتها الذاتية، أو من تأثيراتها الموضوعية، فالخصوصية تمثل بعدا في عمق الذات لا مجرد حالة طارئة على الهامش.

وهو ما فصل الكلام فيه وأطال وأقام البراهين على صدقه أبو حيان التوحيدي في المقابسات: في المقابسة الحادية عشرة تحت عنوان:[٦٣] "في أن الطبيعة تعمل في تخالف الناس على المذاهب

---

(٦٠) رواه البخاري في صحيحه برقم: ٣٢٥٨ من كِتَاب الْمَنَاقِبِ.

(٦١) رواه البخاري في صحيحه في باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته من كتاب أحاديث الأنبياء.

(٦٢) ولعلماء النفس والاجتماع دراسات مطولة حول طبيعة الاختلافات الفكرية والسلوكية بين الرجل والمرأة، ومدى ارتباطها بالطبيعة الجسدية، والوظيفة الحياتية، مما يجعل من محاولة إلغاء هذه الاختلافات أمرا غير مقبول؛ ولمزيد من التفصيلات حول هذه النقطة، انظر: د. جون غراي: الرجال من المريخ والنساء من الزهرة.

(٦٣) انظر: ص ١٥١: ١٥٢.

والمقالات والآراء والنحل"، وفي المقابسة الثالثة والخمسين تحت عنوان:[٦٤] "في علّة اختلاف الأجوبة في المسائل العلمية" وهو ما عاود تفصيله في المقابسة الرابعة والستين تحت عنوان:[٦٥] "في أن الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه، ولا أخطئوه في كل وجوهه"[٦٦].

وكذلك ابن خلدون في مقدمته: في الباب الأول: في المقدمة الثالثة تحت عنوان: "في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم"، وفي المقدمة الرابعة تحت عنوان: "في أثر الهواء في أخلاق البشر"، وفي المقدمة الخامسة تحت عنوان: "في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم".

وإلى مثل هذا، ذهب العلامة "منتسكيو: Montesquieu" في كتابه: "روح القوانين: de L' Esprit des Lois: من أول الكتاب الرابع عشر إلى آخر الكتاب الثامن عشر".

وغير هؤلاء كثيرون كتبوا وأفاضوا في ذلك مما لا يتسع المقام لذكره جميعه.

---

(٦٤) انظر: ص٢٣٣.

(٦٥) انظر: ص ٢٥٩: ٢٦٠.

(٦٦) يقول أبو حيان التوحيدي في هذه المقابسة: "قال أفلاطن: إن الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه، ولا أخطئوه في كل وجوهه؛ بل أصاب منه كل إنسان جهة؛ .... ومثال ذلك عميان انطلقوا إلى فيل وأخذ كل واحد منهم جارحة منه فجسّها بيده ومثّلها في نفسه، فأخبر الذي مسّ الرِّجْل أن خلقة الفيل طويلة مدوّرة شبيهة بأصل الشجرة، وجذع النخلة، وأخبر الذي مسّ الظهر أن خلقته شبيهة بالهضبة العالية، والرابية المرتفعة، وأخبر الذي مسّ أذنه أنه منبسط دقيق يطويه وينشره؛ فكل واحد منهم قد أدّى بعض ما أدرك، وكل يكذّب صاحبه ويدّعي عليه الخطأ والغلط والجهل فيما يصفه من خَلْق الفيل؟".

إن القراءة الواعية للتاريخ لتؤكد على أن محاولات إلغاء الآخر ونبذه وممارسة العنف والقوة تجاهه لا تنهي الاختلاف والمغايرة، وإنما تمدهما بكل أسباب وشروط الوجود والقوة؛ وتفضي على الصعيد العملي إلى المزيد من التشبث بالخصوصيات وكل ما هو مميز للذات عن الآخر[٦٧] ولا تحافظ ـ في الأغلب والأعم ـ على مصالح الذات ومكتسباتها، وإنما تدخل الجميع في دورة متواصلة من العنف لا تنتهي أو تتوقف إلا بتدمير الذات والآخر[٦٨].

٢) إن اختلاف الأشكال والأدوار بل والأهمية لا يعوق التوحد والتكامل بل يمدهما بأهم أسباب الوجود:

يقول لاوتسو:[٦٩] "اعجن العجين وشكله إناء، وانظر كيف يتيح لك اللا شيء في داخله استعمالا، اصنع أبوابا ونوافذ وارفع غرفة، وانظر كيف يقدم لك اللا شيء في داخلها سكنا، ما نحصل عليه هنا شيء، ولكن بفضل اللا شيء يكتسب الشيء وظيفته".

ويقول ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

---

(٦٧) يقول الغزالي في ذلك: "التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتتبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة ..... وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لنجحوا فيه". الغزالي: إحياء علوم الدين، ١/ ٤١، ط دار الفكر العربي.

(٦٨) انظر: محمد محفوظ: الآخر وحقوق المواطنة، ص:٣٤: ٣٩؛ ٤٥.

(٦٩) لاو تسو: التاو، الفقرة: ٢٧.

والحمى"[٧٠]. فأعضاء الجسد الإنساني بأشكالها المختلفة ووظائفها المختلفة بل وأهمياتها المختلفة تتكامل إلى درجة أنه إذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ومن هنا تتبدى أهمية التوظيف الجيد لنقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف مع الآخر، وهو ما أراه يتحقق بالتالي:

● من نقاط الاتفاق النظري (أعني في العقائد الدينية، أو التصورات الفلسفية، أو القيم الأخلاقية، أو العادات الاجتماعية): تنطلق العلاقات[٧١]؛ وإلى ذلك يشير قوله ﷺ " شَهِدْتُ حِلْفًا فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بَيْنَ هَاشِمٍ وَزُهْرَةَ وَتَيْمٍ ، وَأَنَا فِيهِمْ[٧٢] ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ[٧٣] لَأَجَبْتُ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخِيسَ بِهِ[٧٤] وَلِي حُمْرُ النَّعَمِ[٧٥] ، وَكَانَ تَحَالُفُهُمْ عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَنْ لا

---

(٧٠) رواه مسلم في صحيحه في باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، من كتاب البر والصلة والآداب، برقم ٢٥٨٦.

(٧١) فيمكن أن يكون منطلق العلاقة مع الآخر في الدين السماوي (المسلم، المسيحي، اليهودي) من الإيمان بنبوة موسى عليه السلام؛ فالإيمان بنبوته عليه السلام يمثل نقطة التقاء بين الأديان الثلاثة. . كما يمكن أن يكون المنطلق في العلاقة بين بني البشر على اختلافهم الديني والسياسي والثقافي والعرقي....الخ، من العقيدة المشتركة بينهم جميعا تقريبا بأنهم أبناء أب واحد وأم واحدة؛ انظر تفصيلات ذلك: د.جمال الحسيني أبوفرحة: الحوار مع الآخر، ص٥١: ٥٣ (أدب: البدء بذكر نقاط الاتفاق والتدرج في الحوار).

(٧٢) آي قبل مبعثي.

(٧٣) آي الأن بعد مبعثي.

(٧٤) آي أن انقضه.

(٧٥) مقابل نقضي لهذا العهد؛ وحمر النعم: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.

يَدَعُوا لأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ فَضْلا إلا أَخَذُوهُ"(٧٦).

● ومن نقاط الاتفاق العملي (أعني في المهارات والإمكانيات): تتآزر الجهود وتتعاظم المنجزات.

وأما نقاط الاختلاف: فبعضها سلبي وبعضها إيجابي:

● فعلى نقاط الاختلاف العملي: ينبني التكامل المنشود(٧٧).

---

(٧٦) رواه المعافى بن زكريا في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، في المجلس السابع والستون؛ وقال: "قَد اخْتُلِفَ في السَّبَب الَّذي منْ أَجْله سُمِّيَ هَذَا الْحلْفُ حلْفَ الْفُضُول ، فَفي الأَوَّل: أَنَّهُ سُمِّيَ بهَذَا لقَوْلهمْ لَقَدْ دَخَلَ هَؤُلاء في فَضْل منَ الأَمْر ، وَفي الْخَبَر الثَّاني: لَمَّا قَالُوا في حلْفهمْ إنَّهُمْ لا يَدَعُونَ لأَحَدٍ عنْدَ أَحَد فَضْلا إلا أَخَذُوهُ". وإسناده ضعيف ويحسن إذا توبع. وفي رواية قال ﷺ: "شَهدْتُ وَأَنَا غُلامٌ مَعَ عُمُومَتي حلْفَ الْفُضُول، فَمَا أُحبُّ أَنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم وَإنِّي أَنْكُثُهُ". رواه أبو يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة. وإسناده حسن. وفي رواية: = ="شَهدْتُ غُلامًا حلْفَ الْمُطَيِّبينَ، فَمَا أُحبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ وَإنَّ لي حُمْرَ النَّعَم". رواه البيهقي في السنن الكبرى وإسناده ضعيف ويحسن إذا توبع. وفي رواية: "شَهدْتُ حلْفَ الْمُطَيِّبينَ مَعَ عُمُومَتي، وَأَنَا غُلَامٌ فَمَا أُحبُّ أَنَّ لي حُمْرَ النَّعَم وَأَنِّي أَنْكُثُهُ". رواه أحمد في المسند برقم ١٥٨٩. وفي رواية: "شَهدْتُ غُلَامًا مَعَ عُمُومَتي حلْفَ الْمُطَيِّبينَ، فَمَا أُحبُّ أَنَّ لي حُمْرَ النَّعَم وَأَنِّي أَنْكُثُهُ". رواه أحمد في المسند برقم ١٦٠٩.

(٧٧) وهو أمر لا يعيب؛ فكل آخر يريد لنفسه البقاء والارتقاء لابد وأن يفعل ذلك؛ وهناك حكمة قديمة تقول:"ما الأسد إلا خراف مهضومة"؛ فالأسد لا يكون أسدًا إلا إن اعتمد على غيره من خراف وأشباهها؛ فاختار ما يأكله منها، وترك ما يضره وما لا ينفعه، وهضم ما أكله جيدا، وهكذا الشأن مع كل آخر.
يقول د. عبد الحليم رضا عبد العال: "عندما تنمو حضارة نوعية وتزدهر بدون أو بأقل قدر من التداخل مع حضارات أخرى فإنها عادة تكون قصيرة الأمد وأقرب إلى النسيان من ذاكرة العنصر الإنساني". د. عبد الحليم رضا عبد العال: حضارات متداخلة، ص ٧٣. ويقول: "التداخل الحضاري بطبيعته لا يطمس إلا الحضارات الواهية، ولكنه لا يترك حضارة خالصة، الحضارة الحية هي الأكثر تداخلا مع غيرها كي =

- وأما نقاط الاختلاف النظري: فتضمحل بدرجة أو بأخرى في ظل التحاور[٧٨] والتعارف والتفاهم؛ وذلك أن معرفة مسوغات الرأي الآخر حتى وإن لم تكن مقنعة للمخالف لها إلا أن معرفتها تضيق من هوة الخلاف في أكثر الأحيان وتبين أن الترجيح بين الآراء المختلفة كثيرا ما يكون نسبيا، ومن هنا فإن من المشاهدات أن حماس العالم لمذهبه كثيرا ما يكون أقل من حماس العامي الذي لا يعرف إلا رأيا واحدا سمعه ممن يثق في علمه، ولا يعرف حجج المخالف له، ولا كيفية الترجيح بين الآراء؛ وفي ذلك قيل قديما: "من قل علمه كثر إنكاره ومن كثر علمه قل إنكاره".

فإن أسيئ توظيف نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف مع الآخر:

- فإن حدثت مبالغة في الحديث عن نقاط الاتفاق العملي مع الآخر، مع إغفال نقاط الاختلاف العملي فإن ذلك يؤدي إلى

= تحصل على الجديد ولا تفنى بالهرم، الحضارة الحية هي التي تسعى لاختيار مدخلات صحية إليها... التاريخ لن يترك حضارة عنصرية خالصة". السابق: ص٢٣٤.

(٧٨) ومن الأمثلة الدالة على ذلك: حوار الرسول ﷺ مع عتبة بن ربيعة؛ ففي بدايته جاء عتبة ليعرض على النبي ﷺ الدنيا مقابل أن يترك رسالته، وفي نهايته عاد عتبة بن ربيعة إلى قومه "بغير الوجه الذي ذهب به، ....[فلما جلس إليه أصحابه] قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوا واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم". ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٦٢.

الخديعة؛ فلا يستفد من تعوزه الاستفاة من غيره؛ لظنه أن ما عند الآخر عنده.

- وكذلك فإن المبالغة في الحديث عن نقاط الاختلاف العملي مع إغفال أوجه الاتفاق العملي فإن ذلك يؤدي إلى الخديعة؛ فنلجأ للآخر ولا حاجة بنا إليه.
- أما إن حدثت المبالغة في الحديث عن نقاط الاتفاق النظري مع الآخر، وأغفلت نقاط الاختلاف النظري معه، فهو أمر خطير يمهد للذوبان الفكري فيه.
- أما إن بولغ في الحديث عن نقاط الاختلاف النظري وأغفلت أوجه الاتفاق النظري فإن ذلك يؤدي إلى النفور من الآخر، وانحسار التعايش معه، وبزوغ التناحر.

ومن الطبعي ألا تتلاشى نقاط الاختلاف النظري بين آخر وثان، وينبغي التسليم بذلك، والكف عن اعتبار ذلك معوقا حتميا عن التكامل والتعايش مع الآخر.

ويحذرنا "إرنست ناجل" في هذا المقام مما أسماه بـ "التنبوء المحقق لنفسه" وهو الذي يتألف من تنبوءات لا تصدق في الوقت الذي تصاغ فيه على الوقائع الفعلية؛ غير أنها تغدو صادقة بسبب الأفعال التي تتخذ كنتيجة مترتبة على الاعتقاد بصحة تلك التنبوءات[٧٩]. ومن هنا فوفقا لرؤية "ناجل" يصبح الاعتقاد

(٧٩) انظر د. صلاح قنصوة: مقدمة ترجمة كتاب هنتنجتون "صراع الحضارات"، ص٢٥: ٢٦. ويضرب إرنست ناجل مثالا للتنبؤ المحقق لذاته ببنك ظن أصحاب الودائع فيه قرب إفلاسه ومن ثمة تكالبوا في وقت واحد على سحب ودائعهم منه، ولا شك أن النتيجة الطبعية لفعلتهم تلك ستكون إفلاس البنك؛ حتى وإن كان ظنهم ليس في محله. انظر: السابق: نفس الموضع.

بـأن الاختلاف معوق عـن التعايش معوقا للتعايـش، ولعل الحديث القدسـي:[٨٠] "أنـا عند ظن عبدي بى".[٨١] يشـير إلـى هذا النوع من التنبوء المحقق لذاته.

وإنه لمن الطبعي أن يكون لكل آخر توجهاته التي توجب عليه الرفض لبعض أفكار غيره[٨٢] أو بعض أنواع التعامل معه[٨٣] لأسباب قد تكون دينية أو فكرية أو اجتماعية...الخ؛ وهو أمر ينبغي تفهمه؛ وعليه ينبغي التفريق بين الرفض الجزئي والمقاطعة الكاملة.

كمـا ينبغـي التفريق هنا بيـن طبيعة الاختلاف وقـرار الافتراق، بمعنى أنه إذا كان الاختلاف طبيعة بشرية، فالافتراق قرار إنساني.

وكذلك ينبغي التفريق بين الاختلاف من جهة والتناقض والتضاد من جهة أخرى، فليس كل اختلاف يعد تناقضا وتضادا.

---

(٨٠) رواه البخـارى فـى صحيحه فى تفسـير سـورة اللق من كتاب التفسـير، ومسـلم فـى صحيحـه فى بـاب الحث علـى ذكر اللـه تعالى مـن كتاب الذكر والدعاء.

(٨١) فمن يظن أن الله تعالى قدر له الخير سيعمل وفق ظنه هذا فيجد خيرًا، ومن يظن أن الله تعالى قدر له الشر سيعمل وفق ظنه هذا فيجد شرًا، والظن هنا لا يعنى الشك وإنما يعنى اليقين وهو من معانيه.

(٨٢) فالآخر في الثقافة أو الدين مثلا من المقبول رفض بعض مفردات فكره مما لا يتناسـب مع الثقافة المسـتقبلة، ومن غير المقبول مقاطعة فكره كليا، بمعنى حظر الاطلاع عليه كلية من العامة والخاصة، بل الواجب علـى كل آخـر أن يهتـم بقراءة ودراسـة ما عنـد غيره والاسـتفادة منه ما أمكن، والرد عليه إن تطلب الأمر ذلك.

(٨٣) كالزواج مثلا؛ أو الصداقة الصدوقة والخلطة الزائدة التي تتجاوز حدود التعايـش، راجع: القس شـنوده جبره اقلاديـوس: المرتد ص٣٢: ٣٨. وفي ذلـك يقول النبي ﷺ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ" رواه الحاكم في المسـتدرك على الصحيحين في ذِكْـرُ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ من كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وله شواهد عند الترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم.

٣) إن حاجتنا للآخر كحاجة الآخر لنا:

وقد آن الأوان لنتخلى عن تلك العقيدة الساذجة القائلة بأن كل تعامل مع الآخر يكون فيه الآخر هو المستفيد الأوحد أو على الأقل الأكبر؛ ولنا المنة من ثمة عليه، بل والسلطان؛ وهو وهم زائف.

ومن كل ما سبق نفهم معنى قوله ﷺ: "المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"(٨٤). وقوله ﷺ: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"(٨٥). ويلاحظ أن الحث هنا على مخالطة الناس عامة لا المؤمنين فقط ولا حتى المسلمين فقط.

فإذا كان التعايش مع الآخر يحقق نفعا عظيما فلا ضير من تحمل بعض التبعات.

وهنا تتجلى لنا أهمية الموازنة بين ما هو سلبي وما هو إيجابي في العلاقة مع الآخر واختيار الكفة الراجحة(٨٦):

---

(٨٤) رواه الترمذي في سننه برقم ٢٥٠٧ من كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ.

(٨٥) رواه ابن ماجة في سننه في باب الصبر على البلاء من كتاب الفتن، برقم: ٤٠٣٢.

(٨٦) يقول أبو الطيب المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان *** هو أول وهي المحل الثاني

فكثيرا ما نعمد إلى شجاعة الشجعان في قطع علاقاتنا وإعلان مقاطعاتنا للآخر دون رأي، أو ترو للموازنة بين الأضرار والمنافع، وأحيانا دون إيمان بما نقول ونفعل؛ وكأن شجاعة الشجعان لا تهدف إلى تحقيق الهدف المعلن؛ وإنما إلى أمور شخصية أخرى، هي أبعد ما تكون عن المصلحة =

يقول ابن تيمية:[٨٧] "إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر؛ فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته".

وقد جعل الإمام أحمد بن حنبل الخليفة المعتصم بعد أن آذاه إذاء شديدا[٨٨] في حلّ؛ بناء على مبدأ الموازنات بين الحسنات والسيئات؛ يقول الذهبي: "قال ابن أبي حاتم: حدثني أحمد بن سنان قال: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل يوم فتح

= العامة؛ وكأن لسان حالنا قول قيس بن الخطيم:

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما *** يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ولعل أبرز المواقف الراهنة التي تجلت فيها تلك الشجاعة الزائفة، هو موقف كثيرين من الرسومات المسيئة لنبينا الكريم ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ حيث تجلت سذاجة الشجعان في مظاهر عدة منها: ـ وهو ما يهمنا في حديثنا هنا ـ المناداة بالمقاطعة الاقتصادية على المستوى الرسمي، دون درس أو تفكير؛ وكأن الآخر لا بد وأن يكون هو المستفيد الأوحد أو الأكبر من علاقتنا الاقتصادية معه، وظهرت قوائم بالمقاطَعين، وطفق كثيرون يصورون ويوزعون هذه النشرات دون تثبت للتأكد من صحة ما ينشرون! فلعب التنافس الاقتصادي غير الشريف دوره في استغلال سذج الشجعان لتحقيق مآربه! وكان ينبغي على هؤلاء التروي وسؤال أهل الاختصاص بجدوى المقاطعة، سواء الرسمية أو الشعبية ومآلها علينا بعد الموازنة بين المصالح والمفاسد؛ فإن أشاروا بإحدى نوعي المقاطعة أو كليهما وأشادوا، كان عليهم التثبت من أسماء الشركات والبضائع التي يقاطعون ويحاربون.

(٨٧) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ط مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ٢٨/٢٠٨.

(٨٨) في محنة القول بخلق القرآن فقد سجنه وجلده رضي الله عنه.

عاصمة بابك[٨٩] وظفر به، أو في فتح عمورية، فقال: هو في حل من ضربي"[٩٠].

وعن مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ﷺ ينشدها شعرا يشبب[٩١] بأبيات له فقال:

(حصان[٩٢] رزان[٩٣] ما تزن[٩٤] بريبة * * * وتصبح غرثى[٩٥] من لحوم الغوافل)

فقالت له عائشة لكنك لست كذلك؛ قال مسروق: فقلت لها: لم تأذنين له يدخل عليك[٩٦] وقد قال الله:[٩٧] ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقالت: فأي عذاب أشد من العمى؟! إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ"[٩٨] وفي رواية قالت: "كان يذب عن رسول الله ﷺ"[٩٩].

---

(٨٩) بابَك: هو صاحب الثورة الكبيرة (٢٠١ ـ ٢٢٢هـ) وزعيم الخُرّمية البابكية التي نشأت من طائفة الخُرّمية المزدكية. والخُرّمية فرق ونحل نشأت في خُرّم (ناحية بأردبيل) تجمع على القول بالرجعة، وأن الرسل كلهم يحصلون على روح واحدة، وأن الوحي لا ينقطع أبدًا، ويرون أن كل ذي دين مصيب إذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب، وكان أتباع الخرّمية منتشرين في منطقة الجبال بين أذربيجان وأرمينية.. انظر الموسوعة العربية ٤/ ٥١٧.

(٩٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١/ ٢٥٧: ٢٥٨.

(٩١) يشبب: أي يتغزل.

(٩٢) حصان بفتح الحاء أي محصنة عفيفة.

(٩٣) رزان: أي كاملة العقل.

(٩٤) ما تزن: أي ما تتهم، يقال: زننته وأزننته إذا ظننت به خيرا أو شرا.

(٩٥) غَرْثى: أي جائعة، ورجل غرثان، وامرأة غرثى؛ معناه: لا تغتاب الناس وأنها لو اغتابتهم شبعت من لحومهم.

(٩٦) وقد كان حسان بن ثابت ﷺ ممن خاض فى حديث الإفك.

(٩٧) النور: ١١.

(٩٨) رواه مسلم في صحيحه، في باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، من كتاب فضائل الصحابة، برقم: ٢٤٨٨.

(٩٩) السابق نفس الموضع.

وعندما أفشى الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة سر رسول الله ﷺ وأرسل إلى قريش كتابا يعلمهم بخبره سامحه النبي ﷺ قائلا: "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"(١٠٠).

وهذه الموازنة يشير إليها النبي ﷺ بقوله: "لا يَفْرَك(١٠١) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر"(١٠٢). وبقوله ﷺ وهو في

---

(١٠٠) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ"، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ = = فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ"، قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا"، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ"، فَقَالَ: "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ" . . رواه البخاري في صحيحه في بَاب فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، من كِتَاب الْمَغَازِي. وفي مواضع أخرى وأحمد في المسند، والنسائي في سننه، والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه.

(١٠١) آي: لا يبغض.

(١٠٢) رواه مسلم في صحيحه برقم:١٤٦٩ من كتاب الرضاع.

وفي ذلك يقول المتنبي :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها*** كفي بالمرء نبلا أن تعد معايبه.

أوج خلافه مع قريش والحرب بينهما: "شَهِدْتُ حِلْفًا فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بَيْنَ هَاشِمٍ وَزُهْرَةَ وَتَيْمٍ، وَأَنَا فِيهِمْ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ لأَجَبْتُ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخِيسَ بِهِ وَلِي حُمْرُ النَّعَمِ، وَكَانَ تَحَالُفُهُمْ عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ لَا يَدْعُوا لأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ فَضْلًا إِلا أَخَذُوهُ"[١٠٣]

وأخيرا أقول: إن الباحثين عن مسوِّغات الكراهية للآخر بتنوعاته المختلفة سيجدون مسوِّغات كثيرة وأحداثا متتالية تؤيِّد هذا التوجه في الافتراق؛ كما أن الباحثين عن وجوه الالتقاء سيجدون كذلك ضالتهم. وهنا يكمن التحدي الذي على الإنسان الذي يصبو للكمال أن يجابهه.

وتحقيقا لهذا المعنى يقول ﷺ:[١٠٤]"لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر". فنجده ﷺ يبحث عن مسوغات التلاقي، ويتجنب مسوغات الافتراق.

---

(١٠٣) سبق تخريجه.

(١٠٤) رواه أبو داود في سننه في باب "في رفع الحديث من المجلس" من كتاب الأدب.

obeikandl.com

٣ _ المعوِّقات الدينية

إن كل ما يتنكر للأخوة الإنسانية

لا شك باطل دينيا

obeikandl.com

والمعوقات الدينية للتعايش ربما يقلل من أهميتها المعاصرة بعض من المثقفين وخاصة في بلدان العالم المتقدم حضاريا، ظنا منهم بأن الدين لم يعد له تأثير على مجريات الحياة المعاصرة في البلدان المتقدمة؛ ولكن الواقع بخلاف ذلك ففي استطلاع للرأي نشرته صحيفة Associated Press [١٠٥] الأمريكية وجد أن نسبة الذين يؤيدون المزج بين الدين والسياسة ممن شملهم الاستطلاع من دول العالم المتقدم كانت كما يلي: في أمريكا ٣٧٪، وفي كندا ٢٥٪، وفي استراليا ٢٢٪، وفي فرنسا ١٢٪، وفي بريطانيا ٢٠٪، وحتى اليوم تقف الملكية البريطانية شكليا على رأس الكنيسة الإنجليكانية.

والمعوقات الدينية للتعايش أراها ترجع لسبب من الأسباب التالية:

- التعلق بدين رافض للتعايش.
- التعلق بنص رافض للتعايش منسوب لدين متعايش.
- التعلق بفهم رافض للتعايش لنص في دين متعايش .

أولا: التعلق بدين رافض للتعايش:

والأديان والفرق الدينية الرافضة للتعايش مع الآخر كثيرة؛ وأكتفي هنا بالتمثيل لذلك بثلاثة أمثلة: فرقة إسلامية، وفرقة مسيحية، والديانة اليهودية.

ـ أما الفرقة الإسلامية فهي فرقة **"أمة الإسلام أو البلاليين"** بالولايات المتحدة الأمريكية[١٠٦]، وهي الفرقة التى أسسها

(١٠٥) Associated Press, June, 2005

(١٠٦) وفرقة "أمة الإسلام" ترجع أهميتها، إلى أنها تعد من كبرى الحركات الإسلامية فى أقوى دولة فى عالمنا المعاصر ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ ومن ثمة فهى تمثل سفارة من أهم سفارات الإسلام والمسلمين خارج أراضيهم. وقد عدت هذه الحركة عام ١٩٥٠م أكثر المنظمات الإسلامية بروزًا فى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي =

والاس فارد محمد Wallace fard Muhammad المولود سنة ١٨٧٧م، والمختفي سنة ١٩٣٤م، حيث يعتقد أتباع هذه الفرقة أن الإنسان الأسود إله وهو الإنسان الأصلي[١٠٧]، بل إنه هو الذى خلق الإنسان الأبيض، بينما يعد الجنس الأبيض كما لو أنه جنس من الشياطين الذين أتت نهاية عصر سيادتهم؛ ومن ثمة فهم يقصرون دعوتهم على السود فقط، ويمنعون البيض منعا باتا من الدخول فى دعوتهم، ويحرمون اختلاط الدم الأسود بالدم الأبيض؛ بل يحاولون الابتعاد عن البيض بكافة السبل، فينادون بفتح مدارس مستقلة، وإيجاد اقتصاد مستقل، ويمتنعون عن التصويت فى الانتخابات، وعن الانخراط فى سلك الجندية فى الجيش الأمريكى، وينادون صراحة بالانفصال بأقاليم السود عن أمريكا[١٠٨]؛ وقد كان مآل هذه العقيدة العنصرية لدى فرقة "أمة الإسلام" النسخ على يد

= السبعينيات من القرن العشرين كان زعيمها والاس ديلانى محمد المتحدث باسم مسلمي أمريكا. انظر: د. جمال الحسيني أبوفرحة: أمة الإسلام، ص١٩، ٢٦.

(١٠٧) والذي لم يتغير لونه الأصلي: لون الطين الذي خلق منه.

(١٠٨) انظر تفصيلات ذلك: د. جمال الحسيني أبوفرحة: أمة الإسلام، ص٣٩. د. مانع بن حماد الجهنى وآخرون: الموسوعة الميسرة ١/٣٦٣. محمود شاكر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٦٠: ١٦١. وانظر:

_ the Encyclopaedia of Islam vol VII p.703.

_ C.Eric Lincoln: The Black Muslims in America p.3.

_ Louis E.Lomax: When the Word is given pp: 204:207.

_ E.U.Essien _ Udom: Black Nationalism pp.87:93.

_ http://www.muhammadspeaks.com/Messenger _vs _KKK.html.

_ http://www.muhammadspeaks.com/MeetsthePress3.html.

_ http://www.finalcall.com/artman/publish/article_513.shtml.

زعيمها المعاصر"وارث الدين محمد"[١٠٩].

ـ وأما الفرقة المسيحية فهي فرقة "**المورمون**"[١١٠] بالولايات المتحدة الأمريكية، وهى الفرقة التى أسسها "يوسف سمث" المولود سنة ١٨٠٥م، والمقتول سنة ١٨٤٤م، فقد اعتقد "يوسف سمث" وعلم أتباعه أن السود مذنبون بالخطايا السابقة لوجودهم فى حياتهم هذه، ومن ثمة سود الله وجوههم، ولذا قصروا دعوتهم على البيض فقط؛ وقد كان مآل هذه العقيدة العنصرية لدى المورمون النسخ بعد ذلك على يد زعيمها المعاصر"سبنسر كمبل"[١١١].

ـ وأما **الديانة اليهودية** فهي في وضعها الحالي[١١٢] بعد تحريفها[١١٣]؛ ديانة غير متعايشة مع الآخر إلى أبعد مدى وهو الأمر الذي يعلنه اليهود ويجاهرون به؛ فلقد تساءل كتاب التلمود[١١٤]

(١٠٩) جمال الحسيني أبوفرحة: السابق، ص ٦١.

(١١٠) وترجع أهمية هذه الفرقة إلى أنها تعد من أسرع الأديان انتشارا في العالم في عصرنا هذا؛ و لمزيد من المعلومات عن فرقة المورمون. انظر:
ـ مادة The New Encyclopaedia Britannica: Mormonism
ـ مادة مرمون: د. مانع بن حماد الجهني وآخرون: الموسوعة الميسرة.
ـ رأفت زكى: المورمون .. صناع الآلهة .

(١١١) وقد خصصنا للحديث عن هذه الفرقة دراسة مستقلة (تحت الطبع).

(١١٢) على أن هناك من النصوص المقدسة لدى اليهود ما يشفع لأصلها السماوي الذي يحض على التعايش السليم مع الآخر مثل قول موسى عليه السلام: "لاَ تَمْقُتُوا الأَدُومِيِّينَ لأَنَّهُمْ إِخْوَتُكُمْ، وَلاَ تَكْرَهُوا الْمِصْرِيِّينَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ ضُيُوفاً فِي دِيَارِهِمْ". التثنية: ٢٣: ٧.

(١١٣) وقد فصلنا الكلام في قضية تحريف اليهودية في كتابنا: النبي الخاتم ص١٩٤: ٢٢٠.

(١١٤) والتلمود كلمة عبرية معناها التعاليم، وينقسم إلى قسمين: المشنا: وهي شريعة شفهية مأخوذة عن موسى عليه السلام كما يعتقدون .. والغمارا: وهي تعليقات وشروح الحاخامات على المشنا؛ ومن العلماء =

عن سبب تشبيه اليهود بشجرة الزيتون، وجاء في تفسيرهم : لأن زيت الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك جماعة بني إسرائيل لا يمكن أن تختلط مع الشعوب الأخرى[١١٥]. وذلك لأنهم يجعلون أنفسهم "أَبْنَاءُ اللَّـهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"[١١٦]، ومن ثمة فهم يرون أن الدنيا بما فيها ملك لهم، ولهم عليها حق التسلط، ولهم مطلق التصرف في كل شيء، وهو ما يحكيه عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)[١١٧].

وهو ما يصرح به عزرا بقوله مخاطبًا يَهْوَه (إله الإسرائيليين):[١١٨]"إذا كان العالم قد خلق من أجلنا؛ فلماذا لا نصبح مالكين لهذا العالم الذي هو ميراثنا؟!... وحتى متى سيظل الأمر هكذا؟". وكذلك سفر التكوين بقوله على لسان يعقوب مخاطبا إسحاق عليهما السلام:[١١٩]"ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل. كن سيدا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك". وكذلك التلمود حين يقول: "إن حياة الغُوي Goi [أي غير اليهودي] وجميع قواه الجسدية هي ملك لليهودي"[١٢٠].

= من يطلق كلمة التلمود على الغمارا فقط؛ ولا يعرف من دون المشنا للمرة الأولى، وعام ٢٠٠م قام الحاخام يهودا هاناسي بجمع كثير من المشناوات في مجموعة واحدة متناسقة وكثيرا ما أغفل اسم كاتبيها. وللتلمود نسختان البابلي والأورشليمي وبينهما كثير من الاختلافات.

(١١٥) انظر: محمد عبد الله الشرقاوي: الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص١٢٤.

(١١٦) كما تحكي عنهم سورة المائدة:١٨ ويصرح بذلك الزعم كتابهم المقدس؛ انظر على سبيل المثال لا الحصر: سفر التثنية ٦:٧ _٨؛ ١٠:١٥؛ ١٤: ١ _ ٢؛ وسفر الخروج ٣٣:١٦؛ ٦:٧؛ ١٩: ٥؛ وسفر اللاويين١١: ٤٥. وسفر إرمياء ٣١: ٣٥ _ ٣٧. وسفر حزقيال ٢٠: ٣٢ _ ٣٨؛ وسفر عاموس ٣: ١ _٢.

(١١٧) آل عمران:٧٥.

(١١٨) السفر الرابع لعزرا ٦:٥٩، من مخطوطات قمران.

(١١٩) سفر التكوين: ٢٧: ٢٩.

(١٢٠) زهدي الفاتح : مقتطفات تلمودية من كتاب فضح التلمود لـ آي بي =

ويؤكد هذه النظرة الاستعلائية لدى اليهود ما ورد في السنهدرين Sanhedrin[١٢١] من التلمود: "يقتل الوثني إذا ضرب إسرائيليا لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية، ولذلك قتل موسى مصريا لأنه ضرب يهوديا"[١٢٢]. وكذلك ما ورد في كتاب عابوده زاراه Abodah Zarah[١٢٣] من التلمود حين يقول: "محرم على [اليهود] ... قبول دعوة باقي الأمم والأكل من مأكولاتهم ولو كان صانعها يهوديا، فإذا دعا أجنبي يهوديا في فرح وأكل هذا الأخير من مأكولاته فكأنه يأكل من الميتة، ويأثم اليهودي أيضا إذا ذهب عند الأجنبي في فرح ولو قبل الاحتفال بثلاثين يوما، سواء حصل ذلك في فرح زوجية أو في دعوى أخرى"[١٢٤].

فغير اليهودي في نظر اليهود ما هو إلا حيوان نجس[١٢٥] خلقه الله تعالى على صورة البشر لكي يتمكن من خدمة سيده اليهودي[١٢٦]؛ ويصرح كتاب براخوث Berakhoth[١٢٧] من التلمود بحيوانية غير اليهود بقوله: "الخارجين عن اليهود هم بهائم"[١٢٨]. ويصرح كتاب

= برانايتس، ص ٢٧٦.

(١٢١) وهو الكتاب الرابع من القسم الرابع للمشنا، وهو الكتاب الخاص بالمحاكم والعقوبات في التلمود.

(١٢٢) ص ٥٨. نقلا عن محمد عبد الله الشرقاوي: السابق، ص٥٠.

(١٢٣) أي عبدة الأوثان وهو الكتاب التاسع من القسم الرابع من المشنا، وهو خاص بالوثنيين وصفاتهم ومعاملتهم وما ينبغي لهم.

(١٢٤) ص ٨. نقلا عن محمد عبد الله الشرقاوي: السابق، ص٥١.

(١٢٥) انظر متى ١٥: ٢٦، وانظر تعليق التفسير التطبيقي للكتاب المقدس على ذلك، ص ١٩٢٣.

(١٢٦) انظر أوجست روهلنج: الكنز المرصود في فضح التلمود، ط٢، ١٩١.

(١٢٧) وهو الكتاب الأول من القسم الأول من المشنا وهو خاص بمنح البركات والصلوات ويبحث في شئون القواعد المتعلقة بالطقوس.

(١٢٨) ص ٥٨ نقلا عن محمد عبد الله الشرقاوي: السابق، ص٥٣.

عابوده زاراه بنجاسة غير اليهود بقوله: "إذا لمس الأمي[١٢٩] مسيحيا كان أو مسلما أو وثنيا إناء اليهودي الذي فيه النبيذ فعلى الإسرائيلي أن يريق النبيذ على الأرض ويغسل الإناء جيدا"[١٣٠].

وهذا الحيوان بحسب العقيدة اليهودية ليس من حقه أن يمتلك شيئا ففي كتاب عابوده زاراه "يجب على اليهودي أن يبذل مجهوده لمنع استملاك باقي الأمم للعقارات، .... ولا يهبهم شيئا بدون ثمنه"[١٣١].

ومن هذا المنطلق فلليهودي الحق في أكل مال غير اليهود بكافة الطرق، فسرقة غير اليهودي عندهم ليست سرقة، وإنما هي استرداد لأموالهم من غير اليهود[١٣٢]، ففي كتاب كومارات كوماه[١٣٣] ـ أحد كتب شروح التلمود ـ: "إن الله حلل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل"[١٣٤]. وفي التلمود: "ثروة الآكوم[١٣٥] يجب أن تعتبر مشاعة الملكية تخص أول من يفوز بها"[١٣٦].

---

(١٢٩) أن كلمة (أميّ) لغة تعني الذي لا يعرف القراءة والكتابة؛ وتأتي أيضًا كصيغة نسب من كلمة (أمة) وهي صيغة غير مستخدمة لعدم دلالتها وإنما يكون النسب لاسم الأمة؛ وتأتي كذلك كصيغة نسب من كلمة (أمم)؛ فكما يوضح علم الصرف فإنه لكي ننسب إلى اسم في صيغة (جمع التكسير) فالشائع هو النسب إلى مفرده؛ فكلمة (أميّ) إذًا تأتي بمعنى (أمميّ) أي المنسوب إلى كل الأمم؛ والمقصود بها في هذا النص الأمم عدا اليهود.

(١٣٠) ص ٢٩ نقلا عن محمد عبد الله الشرقاوي: السابق، ص٥٢.

(١٣١) ص ٢٠. نقلا عن السابق، ص٥١.

(١٣٢) انظر أوجست روهلنج: السابق، ط٢، ١٩٤.

(١٣٣) ص ٣٩.

(١٣٤) انظر: محمد عبد الله الشرقاوي: السابق، ص٥٠.

(١٣٥) الآكوم: أي عبدة النجوم والكواكب ويعني اليهود بهذه اللفظة كل من ليس يهوديا. انظر: زهدي الفاتح: السابق ٢٦١.

(١٣٦) زهدي الفاتح: السابق ص ٢٧٧.

ومن هنا:

يحرم التلمود رد الأشياء المفقودة لأصحابها إن لم يكونوا يهودا فقد جاء في السنهدرين: "الله لا يغفر ليهودي ذنبا يرد للأمي ماله المفقود"[١٣٧].

ويصبح الربا حلالا مع غير اليهود، يقول سفر التثنية:[١٣٨] "لا تقرض أخاك ـ أي اليهودي ـ بفائدة ..... بل تقرض الغريب بالفائدة وأما أخوك فلا تقرضه بالفائدة".

ويصبح غش غير اليهود وظلمهم حلالا؛ يقول التلمود:[١٣٩] "إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك في دعوى، وأمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحا فافعل وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا (إذا حدث هذا في بلد يحكم فيها اليهود)؛ وإذا أمكنك ذلك وفقا لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحا، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك، فإذا لم تتمكن في كلا الحالين (بأن كان اليهود لا يحكمون البلد والشريعة الأجنبية لا تعطي الحق لليهودي) فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودي". ويستشهد الحاخامات على ذلك بما ورد في سفر المزامير: "مع الصفي تكون صفيا ومع الكامل تكون كاملا ومع الطاهر تكون طاهرا ومع المعوج تكون ملتويا"[١٤٠].

ويصبح الكذب حلالا على غير اليهود، فالتلمود لا يعتبر أي قسم يقسمه اليهودي لأي فرد من باقي شعوب العالم يمينا، لأن

---

(١٣٧) السنهدرين ص ٦٧. نقلا عن أوجست روهلنج: السابق، ط١، ٢١٤. ط٢ ص١٩٧.

(١٣٨) ٢٣: ٢٠ ـ ٢١.

(١٣٩) أوجست روهلنج: السابق، ط٢، ص ١٩٥.

(١٤٠) المزمور ١٨: ٢٦ ـ ٢٧.

القسم وضع لحسم الخلاف بين الناس أي اليهود لا الحيوانات وهم غيرهم كما يقولون[١٤١].

ويصبح لليهودي الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات[١٤٢]. والوصايا العشر تؤكد على هذه العنصرية من وجهة نظرهم؛ فقد ورد فيها: "لا تشته امرأة قريبك، ولا خادمه، ولا خادمته، ولا ثورة، ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك"[١٤٣]؛ فنجدها تخص الحض على التعامل بهذه المثل مع القريب فقط وهو اليهودي كما يصرح التلمود[١٤٤].

ويصبح لليهودى الحق فى استغلال غير اليهود كيفما يشاء يقول التلمود:[١٤٥] "يجب ألا تتعهد ابنة الإسرائيلي وثنيا.... لكن يمكن للوثنية أن تتعهد إسرائيليا... على الإسرائيلية أن لا ترضع ابن وثنية بينما يمكن للأخيرة أن ترضع إسرائيليا".

وهذه الروح العدائية يلخصها التلمود بقوله: "من يفعل خيرا للأغيار[١٤٦] فلن يقوم من الموت"[١٤٧]. وقوله "محرم على اليهودي

---

(١٤١) انظر أوجست روهلنج: السابق، ط٢، ٢١٢.
وعند اليهود يوم يسمونه يوم الغفران أو يوم الكفارة وهو اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني يراجع فيه كل يهودي نفسه لينظر كيف يتملص من عهوده ووعوده وديونه لغير اليهود ليحوز غفران الله تعالى.
انظر: أوجست روهلنج: السابق، ط٢، ص ٢١٣.
: حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه، ص١٦٩.
(١٤٢) انظر أوجست روهلنج: السابق، ط٢، ص٢٠٨.
(١٤٣) سفر الخروج ٢٠: ١٦ _١٧.
(١٤٤) انظر أوجست روهلنج: السابق، ط٢، ص١٩٣.
(١٤٥) انظر: التلمود البابلي، رسالة عبدة الأوثان، الفصل الثاني، المشنا الثانية، ص ٨٢.
(١٤٦) أي من كان من غير بني إسرائيل.
(١٤٧) زهدي الفاتح: السابق ص٢٧٣.

أن يُنجّي أحدا من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها"[١٤٨]. وقوله: "من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر؛ لأن من يسفك دم الكفار يقرب قربانا لله"[١٤٩].

بل إن نظرة اليهود لغيرهم من الأمم وصلت إلى حد أنهم يبيحون امتصاص دمائهم؛ فشريعة التلمود تدعوهم إلى سفك واستنزاف دماء المسلمين بوجه خاص، والمسيحيين على وجه أخص؛ لتستخدم هذه الدماء بعد ذلك في علاج بعض الأمراض حسبما يعتقدون، وفي بعض الأعمال السحرية، وفي كثير من طقوسهم الدينية[١٥٠].

(١٤٨) أوجست روهلنج: السابق، ط٢، ص٢٠٣.

(١٤٩) السابق، ص٢٠٥.

(١٥٠) منها ـ كما ذكر الحاخام المتنصّر "ناوفيطوس" في رسالته (سر الدم المكتوم): دهن صدور الموتى، ومزجه بخبز عيد "البوريم"، وفطيرة عيد "الفصح"، وفي إطعام العروسين ليلة القران، ومزج بعضه بدم الطفل المختون، ودهن حلقه به، ودهن أصداغهم به في ذكرى خراب أورشليم من كل عام، ورش بعضه على البيض المسلوق وتناوله في هذه الذكرى.

فإذا خشي على هذا الدم المستنزف من أن ييبس ويفسد كما يقول الحاخام "ناوفيطوس" فتبلل به قطعة من الكتان حتى تتشربه ثم تحرق، ويحفظ رمادها في حقاق ترسل من بلاد إلى بلاد، حيث لا يمكن لليهود في كثير من الجهات أن يستنزفوا هذا الدم؛ وقد نشر د. محمد عبد الله الشرقاوي رسالة ناوفيطوس: "سر الدم المكتوم"، ضمن كتابه: الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص٢٩١: ٣١٦.

وهذه التهمة ثابتة على اليهود منذ القدم، ذكرها المؤرخ اليهودي "فلافيوس يوسيفوس" المتوفى سنة ٩٥م، في تأريخه للملك "أنطوخيوس الرابع"، وذكرها المؤرخ الفرنسي "شارل لوران" في كتابه: "حوادث سورية لسنة ١٨٤٠م"، والمؤرخ الإنجليزي "أرنولد لويز" في كتابه المنشور سنة ١٩٣٨م، بعنوان: "طقوس الاغتيال اليهودية"، وقد أشار إلى هذه الذبائح البشرية لدى اليهود كذلك مؤرخ الحضارة "ول ديورانت" في كتابه "قصة الحضارة"، في أكثر من موضع، وتناولها =

ثانيا: التعلق بنص رافض للتعايش منسوب لدين متعايش:

ومثاله: ما رواه السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة:[١٥١] قال: "حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم الصلحي، حَدَّثَنَا أَبُو فروة يزيد بْن مُحَمَّد الرهاوي، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا طلحة بْن يزيد، عَن الأوزاعي، عَن يَحْيَى بْن أَبِي كثير، عَنْ أَنَس، مرفوعًا: "الْحَسَدُ عَشَرَةُ أَجْزَاء: تِسْعَةٌ فِي الْعَرَب، وَوَاحِدٌ فِي النَّاس، وَالْحَيَاءُ عَشَرَةُ أَجْزَاء: تِسْعَةٌ فِي النِّسَاء، وَوَاحِدٌ فِي النَّاس، وَلَوْلا ذَلِكَ مَا قَوِيَ الرِّجَالُ عَلَى النِّسَاء، وَالْحِدَّةُ وَالْعُلُوُّ وَقِلَّةُ الْوَفَاء عَشَرَةُ أَجْزَاء: فَتِسْعَةٌ فِي الْبَرْبَر، وَوَاحِدٌ فِي النَّاس، وَالْبُخْلُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ: فَتِسْعَةٌ فِي فَارِسَ، وَوَاحِدٌ فِي النَّاس".

= الدكتور "روهلنج" كذلك في كتابه "اليهودي حسب التلمود"، وقد توسع الأستاذ "حبيب فارس" في سرد هذه الحوادث في الشرق والغرب، وإثبات بيناتها وحججها القضائية الملزمة في كتابه "صراخ البريء"، وقد ألمح إلى ذلك "شكسبير" في مسرحيته الشهيرة "تاجر البندقية"، وكذلك معاصره "كريستوفر مارلو" في مسرحيته "يهودي مالطة"، وغير هؤلاء العلماء هناك كثيرون قد كتبوا وأفاضوا في ذلك.

ويحاول اليهود جاهدين أن ينفوا عن أنفسهم جرائم استنزاف الدم تلبية للتعاليم التلمودية، ولكن اعترافات المجرمين على أنفسهم في المحاكمات القضائية، وثبوت الأدلة عليهم، وكذلك إقرار كبار حاخاماتهم بعد تحولهم عن الديانة اليهودية، مثل الحاخام ناوفيطوس في رسالته "سر الدم المكتوم"، ومثل موسى أبي العافية الذي تحوّل إلى الإسلام عام ١٨٤٠م، وأقر في التحقيق القضائي بذبح الأب توما وخادمه إبراهيم عمار في الشام واستنزاف دمائهما وتعبئته في زجاجة وتسليمها للحاخام الأكبر لليهود في الشام يعقوب العنتابي [راجع محاضر التحقيق في هذه القضية في كتاب "تاريخ سوريا لعام ١٨٤٠م" للمؤرخ الفرنسي شارل لوران، وقد نشرها أخيرًا د: محمد عبد الله الشرقاوي في كتابه: "الكنز المرصود في فضائح التلمود" ص ٣١٩: ٣٩١] كل ذلك لا يبقي لهم مفرًا للهروب من هذه التهمة البشعة.

(١٥١) رقم الحديث: ٣٤٠.

قال السيوطي: لا يَصِحُّ: طلحة متروك منكر الحديث، وكذا أَبُو فروة ... قَالَ: أَحْمَد، وابن الْمَدِينِيّ: يضع الحديث".

ولا شك أن حديثا كهذا ينهك التعايش مع العرب والبربر والفرس؛ فلا يجنح أحد للتعايش مع الحسود، ولا التعايش مع حاد الطبع المتعالي قليل الوفاء، ولا التعايش مع البخيل.

ثالثا: التعلق بفهم رافض للتعايش لنص في دين متعايش[١٥٢]:

ومثاله: ما يروى "عن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟. قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط: سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا؛ لقد صبرنا منه

(١٥٢) وفصلت الحديث عن ذلك في دراسات أربع:
- الأولى بعنوان: الحوار مع الآخر: مفهومه وأهم أصوله وآدابه وأخطائه والموقف من الحوار العقدي، ونشرتها دار الزمان بالمدينة المنورة، عام ٢٠١١م.
- والثانية بعنوان: "الحرية الدينية، دراسة مقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام".(تحت الطبع).
- والثالثة بعنوان: "العدالة مع الآخر، دراسة مقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام".(تحت الطبع).
- والرابعة بعنوان: "الإحسان إلى الآخر، دراسة مقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام". (تحت الطبع).

وعالجت في هذه الدراسات كثيرا من الشبهات المثارة والفهوم المغلوطة حول هذا الموضوع، وهي من التجدد إلى الحد الذي يصعب معه ادعاء حصرها في دراسة، وهي كذلك من الكثرة إلى الحد الذي يصعب معه التفكير في نقلها وتكرار ذكرها كاملة في دراستنا هذه.

على أمر عظيم. أو كما قالوا. قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول. قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مر بهم الثانية، غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: "تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح". فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم. انصرف راشدا، فوالله ما كنت جهولا. ...الخ الحديث"[١٥٣].

ولا شك أن من يأتي قوما بالذبح لا يتعايش معهم فلا تعايش مع مذبوح.

ومنشأ اللبس أو التلبيس هنا إنما أتى ـ في رأيي ـ من الجهل بمعاني كلمة (ذبح) في العربية، أو التجاهل لبعضها دون بعض.

فالذبح في اللغة له عدة معان[١٥٤]:

الأول: قطع العروق المعروفة في موضع الذبح من الحلق بالسكين؛ وهو المعنى الأصلي للذبح.

الثاني: الهلاك، وهو مجاز، فإن قطع تلك العروق من أسرع أسبابه، وبهذا المعنى للذبح فسّر حديث الرسول ﷺ في ولاية القضاء: "من جعل قاضيًا، فقد ذبح بغير سكين"[١٥٥].

(١٥٣) رواه أحمد في المسند، في مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، ٢/ ٢١٨ وابن حبان في صحيحه برقم (٦٥٦٧). وانظر الهيثمي: مجمع الزوائد، ٦/ ١٥، ١٦.

(١٥٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة ذبح.

(١٥٥) أخرجه أصحاب السنن الأربعة والترمذي وأحمد والحاكم والدار قطني وغيرهم.

الثالث: التزكية، وهو مجاز أيضًا، ومن ذلك ما روي عن شريح ـ الصحابي ـ رضي الله عنه، أنه قال: "كل شيء في البحر مذبوح"(١٥٦)، وكذا ما روي عن النبي ﷺ من أنه قال: "إن الله ذبح كل ما في البحر لابن آدم"(١٥٧).

الرابع: الإحلال: أي جعل الشيء المحرم حلالاً، وهو من باب المجاز كذلك، ومن ذلك حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: "ذبح الخمر: الملح، والشمس، والنّينان"(١٥٨)، والنّينان: جمع نون، وهي السمكة. ومعنى الحديث: أن وضع السمك والملح في الخمر مع وضعها في الشمس يذبحها، أي يحولها خلاً فتصبح حلالاً.

ولا شك أن ما فهمه هؤلاء النفر من قريش من هذه الكلمة إنما كان معناها الأول أو الثاني لا غير؛ ومن ثمة كان رد فعلهم ما ذكرته الرواية من رهبتهم وروعهم.

ولا شك كذلك أن المعنى الأول باطل والثاني مستبعد؛ وإنما قصد النبي ﷺ من ذلك: كفهم عن أذاه، دون أن يقول إلا صدقًا وحقًا.

وأقول: إن المعنى الأول باطل؛ لأن رسول الله ﷺ لم يذبح أحدًا لا في مكة ولا في غيرها اعتداءً عليه، أو إكراهًا له على الإيمان؛ وقد أبلغ الله تعالى رسوله ﷺ في القرآن الكريم بأنه "لا إكراه في الدين"(١٥٩)، وبقوله: "فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين"(١٦٠)،

---

(١٥٦) رواه البخاري في صحيحه في باب قول الله تعالى: "أحل لكم صيد البحر" من كتاب الذبائح والصيد.

(١٥٧) أخرجه الدارقطني.

(١٥٨) حديث موقوف.. انظر ابن حجر: تغليق التعليق، كتاب الذبائح والصيد، باب قوله تعالى: "أحل لكم صيد البحر". برقم: ١٨٧٦.

(١٥٩) البقرة: ٢٥٦.

(١٦٠) النساء: ٨٢.

وتفسير الذبح بالمعنى الأصلي المتبادر له يتعارض مع ما عرف عنه ﷺ من خلق، وحكمة، ورحمة بالناس، شهد لها ربه وبرهن عليها؛ فقال: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك"[١٦١].

أما المعاني المجازية للفظ الذبح فهي في جملتها مقبولة، ومنها راجحة ومنها مرجوحة.

وذلك أنهم وقد غمزوه ﷺ وعابوه، وشتموه، وهو يطوف بالبيت؛ فمن المقبول أن يهددهم بالهلاك: بأن يدعو الله عليهم كما فعل بعض السابقين من الأنبياء.

ومن المقبول أيضًا أن نقول: إنهم إذ فعلوا ذلك وقف ﷺ وأخبرهم بحقيقة رسالته، وأنها لا تستأهل ما قابلوه به فهو إنما جاءهم بالتزكية والتطهير مما هم فيه من الشرك، وبتحليل الطيبات وتحريم الخبائث.

وهذان المعنيان للذبح (التزكية، والإحلال) راجحان على المعنى المجازي السابق (الهلاك)؛ لأنهما يتفقان مع ما أثر عنه ﷺ من أنه كان يدعو لقومه بالهداية ولم يدع ﷺ طيلة حياته سوى على أفراد قلائل لعظيم ما جنوه على الإسلام والمسلمين.

---

(١٦١) آل عمران ١٥٩.

obeikandl.com

٤ _ المعوِّقات السياسية

يقول النبي ﷺ:

"إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين".

قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين".

obeikandl.com

قلنا إن كثيرا من الخلافات المعيقة للتعايش بين بني البشر لم تبن على جهل بالحق بقدر ما كانت استجابة لدوافع غير معلنة، ومنها: المصالح السياسية.

وسيتبلور حديثنا عن أهم الأساليب السياسية المتبعة لتمرير المصالح السياسية على حساب التعايش من خلال ما يلي:

- الاحتكام للمبادئ الزائفة.
- الاحتكام إلى مناهج الفهم والاستنباط الزائفة؛ والوقائع المزيفة.

أولا: الاحتكام للمبادئ الزائفة:

وما أسهل ذلك بعد تبنى كل حزب لما يشفع لمصالحه من مبادئ، وما يشفع لمبادئه من وقائع تاريخية وأحداث معاصرة، ونصوص دينية، ومناهج للفهم والاستنباط؛ بل ووضع ما يشاء من ذلك.

ولعل من أهم المبادئ المتبعة لتمرير المصالح السياسية على حساب التعايش: (مبدأ الولاء والبراء)[١٦٢]:

فلقد أدرك فريق من السياسيين والحكام أن من وسائل السيطرة السياسية العمد إلى شيطنة الآخر السياسي (ومن ثمة البراء منه) لتظهر الأنا السياسية أو النظام الحاكم بصفة خاصة في صورة الملاك المناضل ضد الشيطان (وهو ما يقتضي الولاء له) فتتلهى الشعوب بهذه الصورة الخادعة عن آلامها وآمالها.

يقول الغزالي في ذلك:[١٦٣]"لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع

(١٦٢) وما يقصد بالبراء هنا :العداوة والبغضاء.

(١٦٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، ١/ ٤١، ط دار الفكر العربي..

obeikandl.com

ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس".

ويقول هارالد موللر: إن "...إسقاط جميع الشرور على عدو داخلي أو خارجي، تُعد تقنيات سيطرة مثالية"(١٦٤).

ويقول: إن "إسقاط جميع نقاط الضعف والقصور على طرف ثالث أعزل بهذه الدرجة أو تلك يزيح العبء عن الحكام الذين كان من الممكن في أحوال أخرى تحميلهم عبء هذا الإخفاق، وعلاوة على ذلك فإن الكراهية تُولّد طاقات إضافية يمكن أن توجه لصالح السلطة، وهذا هو الديالكتيك المشؤوم لتأمين السلطة واضطهاد الأقليات"(١٦٥).

وانطلاقا من هذه الفكرة يخبو الحديث السياسي عند هذا الفريق عن الأخوة بأنواعها، والتعايش ومرادفاته، ويستعاض عن ذلك بحديث عن الولاء للأنا السياسية والبراء من الآخر.

فإن لم يجد الحديث عن الولاء السياسي مبررات لوجوده من عمل مخلص جاد ينهض بالأمة لم يبق لوجوده إلا مبرر واحد وهو البراء من الآخر، وعندئذ يختزل حديث الولاء والبراء إلى حديث عن البراء السياسي وحده المتزيي بأزياء مختلفة بحسب طبيعة الشعوب والظروف: قد تكون أزياء دينية: كحديث النصارى عن الشيطان الإسلامي والشيطان اليهودي ، والمسلمين عن الشيطان النصراني والشيطان اليهودي، والشيعة عن الشيطان السني، والسنة عن الشيطان الشيعي، .....الخ؛ بل داخل المذهب الواحد

(١٦٤) هارالد موللر: تعايش الثقافات، ص ٩٦.
(١٦٥) السابق، ص ٩٩.

نجد حديثا عن الشياطين وأتباع للشياطين، كحديث السلفية عن الشيطان الصوفي والصوفية عن الشيطان السلفي...الخ.. وقد تكون أزياء عرقية: كحديث الأكراد عن الشيطان العربي، والعرب عن الشيطان الكردي، والأقباط عن الشيطان العربي..... الخ.. وقد تكون أزياء ثقافية: كحديث الشرق عن الثقافة الغربية الشيطانية: الإباحية، الإلحادية، الاحتلالية؛ وحديث الغرب عن الثقافة الشرقية الشيطانية: المتخلفة، غير المناسبة للعصر، والتي تسعى إلى فرض نفسها بالقوة والإرهاب.....الخ.. وقد تكون أزياء رياضية: وخاصة في عصرنا هذا بعد أن أصبحت الرياضة تحتل المركز الأول في المتابعة الجماهيرية بعد توسط الشاشة المرئية، ونجحت في اختزال الشعوب بمختلف فئاتها وأعمارها إلى مشجعين لا تخلو مواقفهم من تعصب لناد رياضي قد يحمل طابعا ـ معلنا أو غير معلن ـ جغرافيا أو عرقيا أو اجتماعيا، أو اقتصاديا، أو دينيا...الخ[١٦٦]. والجماهير المتعصبة رياضيا طاقة عمياء يسهل تسخيرها وتسييسها لكل من يشاء[١٦٧].

---

(١٦٦) على أن ممارسة الرياضة مع الآخر كرياضة بعيدا عن الأجواء الجماهيرية والإعلامية المسيسة لعلها تحتل المركز الأول في دعم التعاش معه، وهو ما توصلت إليه دراسة د. عمرو خالد **Islam and Co _existing with others** والتي سبق الحديث عنها في مقدمة دراستنا هذه، وهو ما تراه وتمارسه جماعة سلفيو كوستا في مصر (نسبة إلى الفكر الإسلامي السلفي وإلى سلسلة المقاهي العالمية "كوستا كوفي"). مع غيرهم من أصحاب التوجهات الفكرية المختلفة. انظر: http://www.facebook.com/salafyocosta

(١٦٧) يقول د. علاء عبد الهادي: "لا تملك الرياضة قدرة التأثير علي السياسة فحسب، بل إنها وجه من وجوهها، ..... من هنا يمكننا أن نتفهم السبب من وراء استغلال كرة القدم إعلاميًا لخلق حالة من التماسك الوطني والانتماء". صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ ٢٢/ ١١/ ٢٠٩م.

ثم يتجسد الحديث عن البراء بسن التشريعات وترسيخ العادات التي تفرق بين الأنا السياسية والآخر السياسي تفرقة لا يعرفها الصحيح من الأديان، وتتنكر لها حقوق الإنسان.

وتشاع عبارات بمعنى: (كل من ليس منتميا إليَّ سياسيا كان للشيطان وليا)[١٦٨] ـ ولا أقصد من كلمة شيطان هنا الإيحاء بأن الدين وحده هو المحرك للبراء السياسي، وإنما أقصد بها الكناية عن الشر بمعناه المطلق والذي قد ينسب لدين أو عرق أو طبقة اجتماعية....الخ ـ فيتلقف العامة والدهماء هذه العبارات، ويشعرون بتكرارها بسكر الشكر والامتنان للزعيم الذي يحفظهم من التردي في طريق الشيطان[١٦٩]، وكفى بها من نعمة

(١٦٨) ولقد شاع معنى هذه العبارة بصياغات لغوية مختلفة، يغلب عليها طابع الدين مرة والعرقية أخرى والطبقية ثالثة ....الخ، في كثير من الأماكن في عالمنا الإسلامي، واستفحلت خطورتها.

(١٦٩) فإذا كان منطلق البراء دينيا زاد ولاء المحكومين للحاكم الذي خصهم بالجنة ورضا الرحمن، بأن حفظ عقيدتهم نقية من كل بطلان. ولقد أدرك خطر البراء السياسي المتزيي بالدين كثير من العلماء والمثقفين قديما وحديثا، وحذّروا منه.
فقديما عاب ابن تيمية على الحجازيين الذين رأوا ألا يحتج بحديث عراقي أو شامي إن لم يكن له أصل بالحجاز، وعاب على العراقيين الذين رفضوا الاحتجاج بحديث الشاميين، وبين أنه متى كان الإسناد جيدا كان الحديث حجة سواء كان الحديث حجازيا أو عراقيا أو شاميا أو غير ذلك راجع: ابن تيمية: الفتاوى، ٢٠/ ١٣٤: ١٣٥.
وحديثا حذر من هذه الفتنة أ. سامي الماجد في مقاله: الجنسية والفتوى. راجع المقال وتعليقات القرّاء عليه بصحيفة "أنباؤكم الإلكترونية"، بتاريخ ٦ /٨/ ٢٠١٠م . على الموقع الإلكتروني التالي:
http://www.anbacom.com/print.php?action=print&m=articlesm&id=4374
وقد سبق اليهود والنصارى هؤلاء في دعوى الانفراد بدخول الجنة بلا برهان في قولهم الذي يحكيه عنهم القرآن بقوله: "وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ =

تهـون أمامها آمالهم وأحلامهم، وتغفر مـن أجلها خطايا زعمائهم؛ "فلا شك أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة"!.

وهي دعوى في مجملها ترجع إلى: تعميمات، وأحكام جزافية، وتكافؤ متوهم بين العبارات التي يستخدمها الآخر وما يجعله غير أهـل للتعايـش معه، بالإضافـة إلى زعم القدرة علـى قراءة أفكار الآخـر ومـن ثمة الحكم عليه. وصدق رسـولنا ﷺ: "إِنِّـي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ"(١٧٠)

= صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْـلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِـنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّه وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَـتِ النَّصَارَى عَلَى شَـيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِيـنَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُـمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ". البقرة: ١١١: ١١٣ . . ويرد الله تعالى على الفريقين بقوله: "لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ". النساء: ١٢٣.

وكثيـرا ما يستسـهل هـؤلاء تكفير الملاييـن من المسـلمين بفهمهم الباطـل لقول النبـي ﷺ: "إِنَّ بَنِي إِسْـرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَـبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَـتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ". رواه ابن ماجه في سـننه في بَاب افْتِرَاقِ الْأُمَمِ من كِتَـابِ الْفِتَـنِ.. فيدعون أنهم هم وحدهم الفرقـة الناجية، وأن كل من خالفهـم فـي رأي كبر أو صغر فقـد فارق الفرقة الناجيـة، وأصبح من الفرق الهالكة، ويتناسـون قوله تعالى: "وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْـرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" الروم: ٣١: ٣٢. وقوله ﷺ: "من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك حار عليه" رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٠٨) وبرقم (٥٦٩٨)، وأحمد في المسند ٥/ ١٦٦. أي رجع إليه ما نسب إلى غيره. . وأن مخالفيهم ومن يكفرونهم قد يكونون أكثر من هذا العدد الوارد في الحديث. وللدكتور سلمان بن فهد العودة كلام مفصل حول هذا الحديث النبوي الشريف أبان فيه كثيرا من أخطاء المستشهدين به، انظر كتابه: ولا يزالون مختلفين، ص ٧٩: ٨٥.

(١٧٠) رواه أحمد في المسند، في مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ من مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، برقم: ١٦٧٨٤. وابن حبان في صحيحه في بَابُ طَاعَةِ الأَئِمَّةِ من =

والدعوة إلى الوحدة في دين الله تقدم في أحيان على الدعوة إلى التوحيد؛ فالأمن قد يكون قبل الإيمان.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: [171] "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ". وهنا يبن لنا النبي ﷺ أن درء مفسدة الشقاق الناتج عن الاختلاف أولى من جلب منفعة الاجتماع على قراءة القرآن، ويقول تعالى على لسان موسى عليه السلام:[172] "قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي"؛ فهارون عليه السلام نراه هنا يقدم المحافظة على الوحدة على المحافظة على التوحيد وهو ما وافقه عليه موسى عليه السلام عندما عرف رأيه ولم يعتب عليه رب العزة في ذلك. وذلك لأن الوحدة إذا سبقت أمكن أن تعمها دعوة التوحيد، أما إذا تفرقت الأمة وانقسمت وتباعدت المسافات المكانية أو النفسية بين قسميها صعب على كل قسم أن يتواصل مع أفراد القسم الآخر لدعوته سواء للتوحيد أو لغيره على النحو المرجو[173]. ومن هنا كانت القاعدة الأصولية: (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة).

ثانيا: الاحتكام إلى مناهج الفهم والاستنباط الزائفة؛ والوقائع المزيفة.

فكثيرا ما يدرك المختلفون سياسيا أن مصالحهم السياسية

= كِتَابُ السِّيَرِ. برقم: ٤٦٦٨.

(١٧١) رواه البخاري في صحيحه في باب "أقرؤا القرآن" من كتاب "فضائل القرآن".

(١٧٢) طه: ٩٢: ٩٤.

(١٧٣) ومن هنا فإن دعوى أن شركاء الوطن المخالفين في المعتقد هم أضر على الأمة من أعدائها الخارجيين وأنه تجب مواجهتهم وتوحيد الصف الداخلي قبل مواجهة العدو الخارجي أراها تحتاج إلى نظر.

تفرض عليهم التنكر لشعاراتهم في التعايش القائم على التحاور السليم والحرية والعدالة بل والإحسان للآخر[١٧٤]، وهو ما يعيبونه على غيرهم.

فيعاد النظر إلى الواقع والوقائع، والنصوص ومناهج الفهم والاستنباط، فيتبنى كل حزب بل ويضع ما يشفع لمصالحه من مناهج[١٧٥] ووقائع[١٧٦]، وعلى إثر ذلك يتم الخلط بين الأخطاء

---

(١٧٤) ومن أمثلة ذلك نجد أن كثيرًا من الحركات الخارجية التي رفعت شعار الإسلام سريعا ما أدركت أن شعارها يتناقض مع نشأتها ووجودها، فنشأتها مرتبطة بالخروج على ولي الأمر بالسيف، وهو ما يتعارض مع النصوص الإسلامية الوفيرة الصحيحة الصريحة والتي تضع لذلك شروطا لم تلتزم بها هذه الجماعات] راجع :د. جمال الحسيني أبوفرحة :الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي. ص١٦ : ٢٦]، فالالتزام بها يقضي عليها في مهدها، ثم إن وجودها وتوسعها مرهون بقتال المسلمين، وهو ما لا يقره نص ولا يرضاه دين، فلا تجد أمامها بدا من شيطنة ولي الأمر، وعامة المسلمين، ومن باب أولى غير المسلمين، حتى تستحل دماءهم، وأموالهم.

(١٧٥) ومن هنا تتجلى الأسباب السياسية التي دفعت الخوارج إلى تكفير مرتكب الكبيرة مع عدم وضع ضوابط للتفريق بين الكبيرة والصغيرة؛ ليتمكنوا من تكفير كل مذنب، وبعبارة أدق كل من لا عصمة له، وبعبارة أكثر دقة كل من يشاءون تكفيره؛ و لقد حذرنا رسول الله ﷺ مبينا أن كثيرا من الاتهامات العقدية المتبادلة بين المسلمين ليس مردها الدين وإنما طلب الدنيا؛ يقول النبي ﷺ "إنّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم". رواه مسلم في صحيحه في باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس من كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

ومن هنا تتجلى الأسباب السياسية كذلك التي دفعت الخوارج للزعم بوجوب قتال الكفار واستحلال أموالهم وأعراضهم جزاء كفرهم وإن لم يظهر منهم عدوان؛ والكفر لا يعد سببا موجبا لقتال صاحبه ولا يعد معوقا أمام المسلم للتعايش مع صاحبه كما فصلنا في دراسة لنا أخرى بعنوان: الحرية الدينية، دراسة مقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام (تحت الطبع).

(١٧٦) لمزيد من التفصيلات، انظر: =

صغيرها وكبيرها: فتصبح الصغيرة إذا فعلها الآخر السياسي كبيرة، والكبيرة إذا فعلوها هم صغيرة[١٧٧]؛ ومن ثمة يسهل شيطنة الآخر بدرجة أو بأخرى حسب المصلحة.

وتخرس الألسنة: بالترغيب مرة: بالمال والجاه والوعود الزائفة. .....الخ؛ والترهيب أخرى وما أسهل ذلك تحت راية تغيير المنكر باليد عند الأحزاب الدينية، أو دكتاتورية البلوريتارية عند الأحزاب اليسارية، وحقوق الإنسان عند الأحزاب الليبرالية؛ فيغيب الحوار كلية وينعدم التعايش.

=_ عبد الواحد الأنصاري: مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام.
_ خالد على عباس القط: أثر الأحاديث الموضوعة في نشأة وصياغة عقائد الشيعة الإمامية.
_ جمال الحسيني أبوفرحة: الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي ص٩: ١٠.

(١٧٧) لمزيد من التوسع انظر: محمد منير حجاب: الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديما وحديثا.

obeikandl.com

obeikandl.com

٥ _ المعوِّقات الاقتصادية

إن العداوة ليست من المغانم

كما أن الصداقة ليست من المغارم

obeikandl.com

كثيرا ما تمارس الفئات المتغلبة اقتصاديا سياسات اقتصادية إقصائية للآخر تحت شعار أن غيرها غير مؤهل إلا للانقياد والتبعية.

وتُأصَّل المزاعم؛ فتوضع نظريات واهية، ظاهرها العلم وباطنها شيء ثان، تعلي جنسا وتخفض من شأن آخر.

فقديما قال أفلاطون: "كلكم إخوان في الوطنية، ولكن الإله الذي جبلكم وضع في طينة بعضكم ذهبا، ليمكنهم من أن يكونوا حكاما، فهؤلاء هم الأكثر احتراما، ووضع في جبلة المساعدين فضة، وفي العبيد لأن يكونوا زراعا وعمالا وضع نحاسا وحديدا"(١٧٨).

وقال أرسطو: "إن بعض الشعوب هم أرقاء بالطبيعة، وهم دون الآخرين درجة بقدر ما هو الجسم دون الروح درجة، وقد حبت الطبيعة هؤلاء بما يؤهلهم لأن يطيعوا الأوامر لا غير؛ ولذلك فمن العدل أن يستخدمهم الأعلون كآلات حيوانية"(١٧٩).

وعلى نهج هؤلاء سار كثيرون عبر الزمان والمكان وإلى يوم الناس هذا؛ فكل مستعمِر يزعم عن مستعمَره أنه غير مؤهل للقيادة والمهن العقلية ولا يصلح ولا ينصلح إلا بالانقياد والتبعية.

فإذا نجحت السياسات الاقتصادية الإقصائية للآخر في فرض سياساتها، نمت بذور الفتنة، وكان الشقاق، والهلاك؛ وانهار التعايش والوفاق.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: (١٨٠)"أَلا إِنَّ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ أَهْلَكَا مَنْ

(١٧٨) د. علي بن عبد العزيز العميريني: الإسلام والتفرقة العنصرية، ص ١٧.
(١٧٩) السابق، ص١٧.
(١٨٠) رواه ابن حبان في صحيحه في بَابُ الْفَقْرِ والزُّهْدِ وَالقَنَاعَة: ذِكْرُ الإِخْبَارِ=

كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ". ويقول:[181]"وَإِنِّي وَاللَّه مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا"[182].

أضف إلى ذلك أنه حينما تحل الأزمات الاقتصادية فإن الفوارق الضئيلة بين الأنا والآخر والتي لا تلاحظ في الأوقات الطبعية تتعاظم في عيني كل فريق[183]. وتنشأ الصراعات بين المختلفين وينهار التعايش.

ففي تلك الأوقات يميل المرء إلى أن يختار لنفسه أعداء ضعافا يفرغ فيهم غضبه حتى وإن لم تقم على عداوتهم البراهين قبل أن يجهد نفسه في البحث عن العدو الحقيقي الذي تكون كلفة مواجهته عالية.

= عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، من كتَابُ الرِّقَائِقِ؛ والبيهقي في شعب الإيمان، السَّبْعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ، فَصْلٌ وَمِمَّا يَلْحَقُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ.

(١٨١) رواه البخاري في صحيحه في بَاب مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ من كتَاب الرِّقَاقِ؛ وفي بَاب الصَّلَاةِ عَلَى الشَّهِيدِ من كتَاب الْجَنَائِزِ؛ وفي بَاب أُحُدٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ من كتَاب الْمَغَازِي. . ومسلم في صحيحه في بَاب إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ من وسلم كتَاب الْفَضَائِلِ.

(١٨٢) ومعنى ذلك أن أمة محمد ﷺ لا يخاف عليها من الكفر والفسق العقدي وإنما يخاف عليها من الفسق السلوكي (التنافس على الدنيا) وهو ما يؤكد على ما سبق بيانه من أن محاولة اتهام بعض الجماعات الإسلامية لغيرها من جماعات المسلمين في عقائدها كثيرا ما تكون ذات أبعاد سياسية، ولا علاقة لها بالحق والحقيقة.

(١٨٣) انظر: هارالد موللر: تعايش الثقافات، ص٩١.

obeikandl.com

٦ _ المعوِّقات النفسية

لقد كانت البواعث النفسية
وراء أول معصية تذكرها الكتب المقدسة
ووراء أول معصية بشرية على ظهر الأرض
وفي كلتا المرتين كان رفض التعايش
هو الثمرة المرة للمعصية.

obeikandl.com

إن قراءة التاريخ تمدنا بأمثلة لا حصر لها ـ ليس هنا موضع بسطها ـ لرفض التعايش مع الآخر لأسباب نفسية[١٨٤]، منها:

- الغيرة.
- إلهاء الذات عن عيوبها وتقصيرها بنقد الآخر وتحميله خطايا متوهمة.
- الشعور بوحدوية الانتماء.

١. الغيرة:

لقد كانت المعصية الأولى بحسب الكتب المقدسة في الأديان المختلفة هى معصية إبليس في رفضه السجود لآدم بدافع الغيرة وبدافع الاستعلاء العرقي، ولنا وقفة مع هذه المعصية عند حديثنا عن المعوقات العرقية.

وكانت المعصية الأولى على الأرض هى قتل قابيل لهابيل بدافع الغيرة[١٨٥]؛ يقول تعالى:[١٨٦]"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ".

وهذا السبب النفسي يشير إليه قول أبي جهل:[١٨٧]"إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء

(١٨٤) وتاريخ الأنبياء مليء بالأمثلة التي تبين أن مكذبيهم ولأسباب نفسية دعاهم إلى الكيد لهم ما كان أحرى أن يدعوهم إلى الإيمان بهم. . انظر: د. جمال الحسيني أبوفرحة: ميزان النبوة، ص ١٩٩

(١٨٥) ولا مانع من وجود دوافع أخرى بالإضافة للغيرة ليس هنا موضع الحديث عنها كالطمع، والشهوة....الخ.

(١٨٦) المائدة: ٢٧.

(١٨٧) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية ٣٣ من سورة الأنعام.

والسقاية والحجابة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟!!!".

ويحذرنا النبي ﷺ من ذلك الخلق بقوله:[188]"دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ".

ويكشف المولى عز وجل عن وجود هذا الخلق لدى كثيرين من أهل الكتاب[189] تجاهنا فيقول:[190]"وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"؛ ويقول:[191]"وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً".

٢. إلهاء الذات عن عيوبها وتقصيرها بنقد الآخر وتحميله خطايا متوهمه:

فبدلا من أن يتهم إبليس نفسه لغيرتها وكبريائها ومعصيتها نجده يحمل الآخر (آدم) المسؤولية وحده: مسؤولية أنه مخلوق من عنصر رآه أقل شأنا من النار وهو الطين[192]، ومسؤولية الأمر بالسجود

(١٨٨) أخرجه الترمذي في بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ من كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ.

(١٨٩) وليسوا جميعا سواء في هذا الخلق.

(١٩٠) البقرة: ١٠٩.

(١٩١) النساء: ٨٩.

(١٩٢) ولم يقم دليل على أن النار أفضل من الطين؛ ولم يبين إبليس المعيار الذي استند عليه في دعواه هذه: هل هو العقل؟ فالعقل لا يدل على ذلك، ولا علاقة له بذلك. أم النص؟ وظاهر النص يعارض ذلك؛ فالمفضول أولى أن يسجد للفاضل. أم التجربة؟ وهي تبرهن على بطلان ذلك؛ فكفر =

لـه، ولا ذنب لآدم فـي كلا الأمرين، فهذا أمر الله تعالى، وكانت النتيجة في رأي إبليس أن الآخر (آدم عليه السلام وذريته) غير جدير بالتعايـش معـه لأبعد مدى ومن هنا أعلن العـداوة له ولذريته؛ فازداد عصيانـا للـه تعالى وكفرانا؛ "قَـالَ فَبِعِزَّتِـكَ لَأُغْوِيَنَّهُـمْ أَجْمَعِينَ*إِلَّا عِبَـادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"(١٩٣) و"قَالَ أَرَأَيْتَـكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا"(١٩٤).

وبدلا من أن يتهم"قبيل" نفسه، محاولا الإصلاح من شأنها نجده يحمل الآخر (هابيل) مسـؤولية لا شـأن له بها ـ مسـؤولية العلاقة بينه وبين ربه ـ وبناء على فشل هذه العلاقة، رأى الآخر غير جدير بالتعايش معه لأبعد مدى، وعليه فهو مستحق لعقوبة القتل.

ومـا زلنا نسـمع أمثـال هذه العبـارات: (الآخر يزعجنـي، ويثير اشمئزازي، ولا يريحني منظره، ولا تعاملي معه)، وكأن مسؤولية هذا الشعور وما ينتج عنه من ردات فعل تقع على عاتق الآخر وحده، ولا حـول ولا قـوة لنا في ذلك(١٩٥)؛ فاللائمون يصـرّون دوما على أن أحدا سواهم يسيِّر الأمور(١٩٦).

= إبليـس ولم يتب، وعصى آدم وتاب؛ فكان هو الأفضل؛ وكذا شـأن العنصريين فـي معظـم الأحيـان ينطلقون فـي دعاويهـم العنصرية من أحكام جزافية لا دليل عليها ولا براهين!.

(١٩٣) ص: ٨٢: ٨٣.

(١٩٤) الإسراء: ٦٢.

(١٩٥) ويمكـن تفنيـد مثل هذه العبارات عن طريق طرح أسـئلة مثل: كيف ـ بالضبط ـ يمكن لهذا السبب أن يحدث هذه النتيجة؟ أو ما الذي كان ينبغي أن يحدث حتى لا يتسبب كذا في حدوث كذا؟.

(١٩٦) ومـن طرائـف ذلك قول الكاتب الأمريكي ليون يوريس Leon Uris في روايتـه الحـاج The Haj على لسـان أحد أبطال الرواية من الإسـرائيليين "يمكنني أن أغفر للعرب أنهم قتلوا أطفالنا، ولا يمكنني أن أغفر لهم إجبارنا على قتل أطفالهم".

إن الخطر كل الخطر حينما نحمل الآخر كل شيء ونزكي ذواتنا ونخرجها من دائرة المسؤولية[١٩٧].

فعبارة مثل: (الآخر يزعجني، ويثير اشمئزازي، ولا يريحني منظره ولا تعاملي معه)، لا بد وأن تصحح ليحمل ناطقها المسؤولية لنفسه؛ فتستبدل بعبارة مثل: (أشعر بالانزعاج والاشمئزاز وعدم الارتياح في تعاملي مع الآخر).

وعبارة مثل: (لقد أغضبتني، عندما كلمتني بهذه الطريقة) علينا أن نستبدلها بعبارة مثل: (لقد انتابني شعور بالغضب منك، عندما كلمتني بهذه الطريقة)[١٩٨]؛ فالمسؤولية عندئذ تكون مسؤليتي أنا وحدي لا مسؤولية الآخر.

وعبارة مثل: (الآخر سيئ لأنه يصدر لنا الأفلام الإباحية، والأسلحة الفتاكة و.....الخ) لابد أن تستبدل بعبارة مثل: (منا سيئون يستوردون الأفلام الإباحية والأسلحة الفتاكة.....الخ)؛ فتصدير الآخر لنا لابد يسبقه طلب استيراد منا.

فعلينا دائما وأبدا محاسبة ذواتنا، ومحاكمة قناعاتنا،

---

(١٩٧) ومن طرائف ذلك، ما نجده في إحدى القصص المطبوعة في بداية السبعينات من سلسلة قصص أطفال أمريكية شهيرة لـ: **Weiller Texle** "حيث تحكي عن العرب المسلمين وهم يتهيأون للإجهاز على الهنود الحمر في (مكسيسكو) ويريدون فتحها بالقوة من أجل جباية الخراج واسترقاق العبيد .. ثم يظهر الـ **Sherif** ويتدخل لحماية الهنود الحمر من خطر الفتح الإسلامي الوحشي الدموي" ..وهكذا يصبح جلاد الهنود الحمر ومبيدهم صديقا يحميهم من خطر وهمي، اسمه "الفتح الإسلامي"..انظر: محمد سعيد ريان: جدل الواقع العربي والصراع على الذات، ٨٣.

(١٩٨) لمزيد من التفصيلات راجع: د. جاري ما كاي، و د. دون دينكماير: الشعور اختيار ينبع من الذات.

ومجاهدة أهوائنا، وتحمُّل مسؤولياتنا، على أكمل وجه.

إن تزكية النفس وإخراجها من دائرة المسؤلية أمر تنهى عنه شرائع السماء:

ففي إنجيل متى ورد على لسان المسيح عليه السلام: "لماذا تلاحظ القشة في عين أخيك، ولكنك لا تنتبه إلى الخشبة الكبيرة في عينك؟ أو كيف تقول لأخيك: دعني أخرج القشة من عينك، وها هي الخشبة في عينك أنت! يا مرائي! أخرج أولا الخشبة من عينك، وعندئذ تبصر جيدا لتخرج القشة من عين أخيك"[١٩٩].

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: "الكيس من دان نفسه"[٢٠٠].

وفي القرآن الكريم يقول المولى عز وجل:[٢٠١]"فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى". بل نجده تعالى يقسم بالنفس اللوامة تعظيما لها وتشريفا؛ يقول تعالى:[٢٠٢]"وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ".

ويحذرنا ﷺ من مغبة إلقاء اللوم على الآخر وتبرئة الذات بقوله: [٢٠٣]"إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ". قال مسلم:[٢٠٤]"قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لَا أَدْرِي أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ، فرُوي باللفظين". فعلى رواية فتح الكاف، (أهلكَهم) أي تسبب في

---

(١٩٩) ٧: ١ ـ ٥. وانظر لوقا ٦: ٤١ ـ ٤٢.

(٢٠٠) رواه ابن ماجه في باب ذكر الموت والاستعداد له من كتاب الزهد.

(٢٠١) النجم: ٣٢.

(٢٠٢) القيامة: ٢.

(٢٠٣) رواه مسلم في صحيحه في بَاب النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ من كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ. برقم: ٤٧٦٢. والبخاري في الأدب المفرد بلفظ مختلف بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ: هَلَكَ النَّاسُ، برقم: ٧٥٧. وأبو داود: في سننه في باب لَا يُقَالُ خَبُثَتْ نَفْسِي من كِتَاب الْأَدَبِ، برقم: ٤٣٣٤.

(٢٠٤) في صحيحه في بَاب النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ من كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ.

هلاكهم، بما يبثه بينهم من روح الإحباط، وقطع الأمل في النجاة، ورسم القدوة السيئة، والدعوة إلى الاستسلام للهلاك الذي أصبح مصيرا محتوما في رأيه. وعلى رواية ضم الكاف، (أهلكُهم) أي أشدهم هلاكا؛ بما يلحقه من الإثم في عيبهم، والوقيعة فيهم، وربما أدّاه ذلك إلى إثم العُجب بنفسه[٢٠٥].

وكثيرًا ما يتجنب الهاربون من مسؤولياتهم إلقاء المسؤولية على من يمكنه الدفاع عن نفسه[٢٠٦] فتلقى على الدهر أو الزمان:

يقول الشافعي رحمه الله:

نعيب زماننا والعيب فينا * * * وما لزماننا عيب سوانا.

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب * * * ولو نطق الزمان إذا هجانا.

ويقول أكثم بن صيفي في ذلك: "من عتب على الدهر طالت مَعْتَبَتُهُ".

وهو ما يحذرنا منه النبي ﷺ بقوله:[٢٠٧]"لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ". وفي رواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:[٢٠٨]"لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا الدَّهْرُ، الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي لِي، أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيهَا، وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ".

---

(٢٠٥) "قال أبو داود: "قَالَ مَالِكٌ: إِذَا قَالَ ذَلِكَ تَحَزُّنًا لِمَا يَرَى فِي النَّاسِ: يَعْنِي فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، فَلَا أَرَى بِهِ بَأْسًا، وَإِذَا قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ وَتَصَاغُرًا لِلنَّاسِ، فَهُوَ الْمَكْرُوهُ الَّذِي نُهِيَ عَنْهُ". أبو داود: سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، باب لَا يُقَالُ خَبُثَتْ نَفْسِي.

(٢٠٦) وفي ذلك يقول المثل الإنجليزي: **Abad workman blames his tools** أي الصانع الرديء يلقي اللوم على أدواته.

(٢٠٧) رواه مسلم في صحيحه في بَاب النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ من كِتَاب الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا؛ برقم: ٤١٧٦.

(٢٠٨) رواه أحمد في المسند، مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، بَاقِي مُسْنَدِ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. برقم: ١٠٢١٨.

٣. الشعور بوحدوية الانتماء.

ففي حالات كثيرة يتم رفض التعايش مع الآخر من منطلق الاعتقاد بتمايز الانتماء عنه. وهي نظرة أراها قاصرة؛ فكل إنسان له انتماءات عديدة: (اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية وعرقية وجغرافية وثقافية.....الخ)[٢٠٩].

وتوهم التعارض بين هذه الانتماءات ومن ثمة الظن بوجوب التنكر لبعضها لصالح بعضها الآخر، لا شك يمثل خطورة على التعايش مع الآخر المنتمي للانتماء المتنكر له.

وقد بين النبي ﷺ أن الحل الأمثل عند ظهور ما ظاهره التعارض بين هذه الانتماءات هو عدم التنكر لأي منها وفي نفس الوقت نصرة كل منها الظالم والمظلوم: المظلوم بأخذ الحق له والظالم بأخذ الحق منه لا التنكر له فتلك نصرته؛ قال ﷺ:[٢١٠]"انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذ فوق يديه". والأخوة هنا لم تخصص ومن ثمة تبقى بمعناها العام المطلق من كل قيد أي الأخوة في أي من الانتماءات المختلفة.

(٢٠٩) يقول صامويل هنتجتون: "يوجد لدى كل فرد هويات متعددة قد تتنافس مع بعضها وقد تقوى من بعضها البعض: القرابة المهنة، الثقافة، المؤسسة، الإقليم، التعليم، الحزب، الأيديولوجيا... وغيرها؛ التوحد مع بُعد واحد قد يتصادم مع أبعاد أخرى، ...[وكمثال على ذلك] ... في سنة ١٩١٤ كان على العمال الألمان أن يختاروا بين التوحد الطبقي مع البروليتارية العالمية أو التوحد القومي مع الشعب الألماني والإمبراطورية الألمانية. .[و] في العالم المعاصر يأخذ التوحد الثقافي شكلا متزايدا في أهميته مقارنة بالأبعاد الأخرى للهوية". صراع الحضارات، ص ٢٠٨.

(٢١٠) رواه البخاري في صحيحه في باب "أعن أخاك ظالما أو مظلوما" من "كتاب المظالم".

ومعنى ذلك أنه إذا تطلب أخ في الإنسانية نصرة وعونا ـ ظالما أو مظلوما ـ وجب ذلك على أخوته في الإنسانية ـ بالمفهوم النبوي السالف الذكر ـ بصرف النظر عن وجوه اختلافهم الأخرى، وإذا تطلب الوطن فداء وتضحية وجب ذلك على أبنائه بصرف النظر عن وجوه اختلافهم الأخرى، وإن تطلب الدين نصرة ودفاعا وجب ذلك على أبنائه بصرف النظر عن وجوه اختلافهم الأخرى، وإن تطلب القريب في النسب نصرة وعونا وجب ذلك على أقربائه بصرف النظر عن وجوه اختلافهم الأخرى .... وهكذا[٢١١].

(٢١١) إن هذا المعنى:

- فهمه رهط شعيب عليه السلام وهم كفار عندما أعلنوا حمايتهم له عليه السلام، فعجز أعداؤه عن إيذائه يقول تعالى على لسان قوم شعيب له: "وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ". هود: ٩١. يقول الشنقيطي في تفسير هذه الآية: "بين تعالى في هَذهِ الآية الكريمة: أن نبيه شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام منعه الله من الكفار، وأعز جانبه بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار". انظر أضواء البيان تفسير الآية ٩١ من سورة هود.
- كما فهمه أهل صالح عليه السلام وهم كفار عندما أعلنوا حمايتهم له عليه السلام، فعجز أعداؤه عن محاولة إيذائه إلا في خفاء وإنكار وأيمان لوليه بالبراءة من إيذائه عليه السلام؛ يقول تعالى في ذلك: "قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا = = لَصَٰدِقُونَ". النمل: ٤٩. يقول الشنقيطي في تفسير هذه الآية: "وَالظَّاهر أن هذه النصرة عصبية نسبية لا تمت إلى الدين بصلة، وأن أولياءه ليسوا مسلمين". انظر أضواء البيان تفسير الآية: ٤٩ من سورة النمل.
- كما فهمه أبو طالب عم النبي ﷺ وهو كافر حين قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر بذاك وقر منه عيونا

وحين قال: ونمنعه حتى نصرع حوله *** ونذهل عن أبنائنا والحلائل.

انظر الشنقيطي: أضواء البيان تفسير الآية ٩١ من سورة هود.

- ومن هذا المنطلق خافت الأنبياء على أقوامهم من عذاب الله ولم يتمنوه لهم: يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام لقومه: "إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ =

إن الشعور بوحدوية الانتماء والذي يتمخض عنه رؤية طائفة بأنها أقلية وأخرى بأنها أغلبية أمر أراه غاية في الخطورة فهو في رأيي يعني: استسلام الأقلية للأغلبية في البداية. ثم أنفة قلة من الأقلية من أقليتها ، وزهو قلة من الأغلبية بأغلبيتها؛ وكردود فعل متبادَلة بين الطرفين يزداد حجم هذه الأقلية الطامحة ـ داخل كل من الأقلية والأغلبية ـ إلى أن تتحول إلى أغلبية تنادي بمزيد من الحقوق غير المستحقة[٢١٢]. ثم التصارع عليها. ثم مناداة الأقلية بالانفصال عن الأغلبية بحجة الفشل في التعايش معها في آخر الأمر. ثم تفتت كل من الأقلية المنفصلة والأغلبية بنفس الطريقة عندما يتم تسليط الضوء على ما قد تم إغفاله من انتماءات أخرى عديدة لازمة لأفرادها.

إن التحدي الحقيقي الذي ينبغي على الإنسان أن يجابهه؛ هو

= عَذَابَ يَوْم عَظِيم" الأعراف: ٥٩.. ويقول: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْم أَلِيم" هودً: ٢٦..

ويقول تعالى على لسان شعيب عليه السلام لقومه: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْم مُحِيط" هود: ٨٤..

ويقول تعالى على لسان هود عليه السلام: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْم عَظِيم" الشعراء:١٣٥، الأحقاف:٢١..

ويقول تعالى لنبينا ﷺ وقد كانت نفسه تذهب على قومه حسرات لعدم إيمانهم خوفا عليهم: «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَات» فاطر:٨.

(٢١٢) كمناداة الأغلبية بإطلاق حريتها من كل قيد (دينيٍ، أو إنساني) لتفيذ ما تراه؛ أو مناداة الأقليات باعتبار الأغلبية تمثل مجرد طرف يعيش مع مجموعة أطراف أخرى، ثم المطالبة بأن يكون تمثيل الأطراف بحسب مجموع الأطراف لا بحسب مجموع الأفراد! أو القفز على حقوق الأغلبية بالمناداة باشتراط التوافق بين جميع الأطراف كآلية تؤخذ بها القررات، ثم رفض كل قرار لا يعطيها أكثر مما تستحق، حتى تجد الأغلبية نفسها بين خيارين: إما الاتهام بعدم مراعاة رغبات الأقليات، أو الاتهام بالعجز عن إصدار القررات المهمة حين الاحتياج إليها.

أنـه بإمكانه أن يرى نفسـه جـزءا من الـكل، وبإمكانه أن يرى نفسـه جزءا من الأقلية؛ وذلك بحسـب الانتماء الـذي يرغب في أن ينظر من خلاله إلى مجتمعه[٢١٣].

إن مـن ينظـر إلى تعداد أهل ملته أو المنتميـن إلى عرقه مقارنة بغيرهـم فـي وطنـه قد يـرى نفسـه منتميا إلـى أقلية تعيش وسـط أغلبية، أما من ينظر إلى نفسه باعتباره مواطننا ـ ينبغي أن تكون له كافة حقوق المواطنة ـ فسيرى أنه جزء من كل.

وكذلـك مـن ينظر إلى نفسـه باعتباره مواطنا يعيـش فى دولة وسط دول أخرى عديدة قد يرى نفسه منتميا إلى أقلية تعيش وسط أغلبية؛ أما من ينظر إلى نفسـه باعتباره إنسـانا يعيش وسط أخوته فى الإنسانية فسيرى نفسه جزءا من كل.

إن الإنسـان الذي يؤثر التعايش مع غيره عليه ألا يسـمح لكائن من كان في أن ينوب عنه في هذه الرؤية ليضعه في الموضع الذي لا يرضـاه هو؛ بل عليه أن يجاهـد ليكون دائما جزءا من الكل لا فردا من الأقلية.

---

(٢١٣) ومن طرائف أدعياء الأقلية: النظر إلى تعدادهم لا ليقارنوه بتعداد انتماء آخـر، وإنمـا ليقارنوه بتعداد مجموع أصحـاب الانتماءات الأخرى؛ ومن ثمة تتم البرهنة الزائفة على كونهم أقلية.

obeikandl.com

٧ _ المعوِّقات العرقية

يقول ﷺ: "دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ"

(رواه البخاري في صحيحه)

obeikandl.com

قلنا إن بواعثا نفسية وعرقية كانت وراء أول معصية للمولى عز وجل تذكرها الكتب المقدسة في الأديان المختلفة وقلنا إن رفض التعايش مع الآخر كان هو الثمرة المرة لهذه المعصية.

فالخلاف بين إبليس وآدم عليه السلام كان الاستعلاء العرقي لدى إبليس مصدرا له حيث قال للمولى عز وجل لما أمره بالسجود لآدم: "أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا"(٢١٤) و"قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"(٢١٥).

وعبر التاريخ نجد الاستعلاء العرقي من أهم أسباب رفض البشر لما يؤمنون بصحته وعداوتهم لمن يعتقدون فضله؛ يقول أبو جهل في ذلك(٢١٦): "تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه".

ويقول أبو جهل في رواية أخرى:(٢١٧) "والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعني شيء: إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل".

---

(٢١٤) الإسراء: ٦١.

(٢١٥) الأعراف: ١٢، ص ٦٧.

(٢١٦) ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثالث، باب مجادلة النبي ﷺ الكفار وإقامة الحجة الدامغة عليهم.

وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية ٣٣ من سورة الأنعام.

(٢١٧) ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثالث، باب مجادلة النبي ﷺ الكفار وإقامة الحجة الدامغة عليهم.

وفـي رواية أخرى يقول: "والله إني لأعلـم إنه لنبي، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاً؟"[٢١٨].

ويـروى أنـه خلال حروب الردة، التفت بعض أتباع مسـيلمة إليه وقال له:[٢١٩]"أشهد أنك كذاب وأن محمدًا صادق؛ ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر".

وفي عصرنا هذا رغم التقدم العلمي الذي أنجزه نجد الاستعلاء العرقـي لا يـزال يسـهم فـي إحـداث فجوة بيـن أصحـاب الأعراق المختلفة حتى في أكثر أماكن العالم تقدما وتحضرا:

يقول المفكر والدبلوماسي السويدى إنجمار كارلسون:[٢٢٠]"إن العنصرية وعدم التسامح والقومية المتزمتة تستفحل بشدة في سائر أنحاء أوربا"؛ والحال في أمريكا كأوربا وشواهد ذلك أكثر من أن تحصى[٢٢١].

---

(٢١٨) ابن كثير :تفسير القرآن العظيم ،تفسير الآية ٣٣ من سورة الأنعام.

(٢١٩) رواه الطبري: في تاريخه، في "ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة"، في "أحداث سـنة إحدى عشـرة من الهجرة" من الجزء الثالث.

(٢٢٠) إنجمار كارلسون: الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ص ٦.

(٢٢١) يقـول رينان: "إن السـاميين جماعـة من الموحدين المسـعورين الذين لم ينتجـوا ميثولوجيـا ولا فنـا ولا تجـارة ولا حضارة وهـم ذوو ذهنية ضيقة وشـديدة الغلظـة إنهـم عمومـا من طينـة إنسـانية متدنيـة..... إن النزعة الإسـلامية هي نتاج مزيج من العناصر الإنسانية الرديئة النوع". د. صلاح الدين أحمد كفتارو منهج الحوار في الرؤية الإسلامية، ص ٢٩: ٣٠.
ويقول إيريك هرستاديوس بعيد انتهاء حرب الخليج عام ١٩٩١م في مجلة سـليتز Slitz السـويدية:"لو أن مائة ألف عربي قتلوا لما انتابني أي شعور غيـر عادي، أما بخصوص قوات الحلفـاء الغربيين فالأمر مختلف؛ لأني أشعر بالتعاطف معهم ومع أسرهم". إنجمار كارلسون: السابق، ص١٣.
والعنصريـة الغربيـة هنا لا يجليهـا رأي فرد كائنا مـن كان وإنما تتبع تجلياتها من الصمت الغربي وعدم الاكتراث إزاء مثل هذه الآراء والتي =

و لقد بين النبي ﷺ بطلان هذه الدعوات العنصرية في كثير من النصوص، منها قوله ﷺ:[٢٢٢] "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى".

وذم ﷺ هذه الدعوات العنصرية في كثير من النصوص، فقال ﷺ لأبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سَابَّ رَجُلاً فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ:[٢٢٣]

= لا يمكن قبولها بحال في حق أي جماعة عرقية أو قومية أو دينية أو ثقافية أخرى، وما ذلك إلا لأنها لا تشز عن آراء ومشاعر عامة المواطنين في دول العالم الذي يصف نفسه بالحر.

ومن أمثلة ذلك كذلك تلك الشعارات الإعلانية الغربية المعادية للعرب ومنها ما يلي:

- ذلك الشعار الذي رفعته شركة تويوتا للفت الأنظار إلى ميزتها الاقتصادية في استهلاك البنزين وهو "اشتر تويوتا وادفع عربيا إلى الجنون".
- وذلك الشعار الذي رفعته شركة أمريكية طرحت قطعا من الفحم في الأسواق أطلقت عليها اسم "الشيخ" وكتبت عليها "اقتصد في استعمال النفط واحرق شيخا بدلا منه".
- بل إن المؤسسات الحكومية الأمريكية الرسمية شاركت في هذه الموجة من العداء؛ فعندما أراد مكتب التحقيقات الجنائية الفيدرالي إف. بي. آي (FBI) مكافحة الرشوة والفساد أطلق على حملته لذلك اسم "آبسكام" وهي اختصار لكلمتين هما: "آراب سكام" وهو ما يمكن ترجمته بـ "المكيدة العربية" وتم الإعلان عن هذه الحملة من خلال رسوم كاريكاتيرية ظهر فيها رجال يرتدون الزي العربي ويقدمون رشاوى للمسؤولين الأمريكان، والعجيب أن كل ذلك لم يثر أحدا لا العرب ولا دعاة حقوق الإنسان!. راجع المزيد من التفصيلات: إنجمار كارلسون: الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ص ١٤: ١٥

(٢٢٢) رواه أحمد في المسند، مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ، برقم: ٢٢٨٧٢.

(٢٢٣) سبق تخريجه.

"يَـا أَبَـا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّه، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ". ووصف ﷺ هذه العنصرية بقوله:[٢٢٤] "دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ".

و حذر النبي ﷺ من خطورة هذه الدعوات العنصرية في كثير مـن النصوص، منها: قوله ﷺ:[٢٢٥] "لـن تُفْتَنَ أُمَّتي حَتَّى يَظْهَرَ فيهمُ التَّمَايُـزُ، ....."، قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّه، مَا التَّمَايُـزُ؟ قَالَ: "التَّمَايُزُ: عَصَبِيَّةٌ يُحْدِثُهَا النَّاسُ بَعْدِي فِي الإِسْلام".

وبيـن لنا النبي ﷺ حكـم من يرفع هذه الشـعارات العنصرية: فقال:[٢٢٦] "لَيْـسَ منَّا مَـنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّة، وَلَيْـسَ منَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّـة، وَلَيْسَ منَّـا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّة". وقـال ﷺ:[٢٢٧] "مَنْ قُتِلَ تَحْـتَ رَايَـة عِمِّيَّـة يَدْعُو عَصَبِيَّـةً أَوْ يَنْصُـرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَـةٌ جَاهِلِيَّةٌ". وقـال:[٢٢٨] "إِنَّ اللَّـهَ عَـزَّ وَجَلَّ قَـدْ أَذْهَـبَ عَنْكُـمْ عُبِّيَّةَ[٢٢٩] الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاء، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَـقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِـنْ تُرَاب، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْـوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَـال، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ[٢٣٠] الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ".

---

(٢٢٤) رواه البخاري في صحيحه في تفسير سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ، من كتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب قَوْلُهُ: "يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المدينَةِ" برقم: ٤٥٥٤.

(٢٢٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، في باب ذِكْرُ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ، من كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ برقم: ٨٧١٥

(٢٢٦) رواه أبـوداود في سـننه في باب "فِي الْعَصَبِيَّةِ" من كِتَـاب "الْأَدَبِ" برقم: ٤٤٥٩.

(٢٢٧) رواه مسلم في صحيحه في باب الأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ من كِتَاب الْإِمَارَةِ برقم: ٣٤٤٦.

(٢٢٨) رواه أحمد في المسـند في مُسْنَدُ الْعَشَـرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٢٩) أي فخرها وتكبرها.

(٢٣٠) دويبة سوداء.

كما حدد ﷺ عقاب من يرفع هذه الشعارات في قوله:[٢٣١]"من تعزى[٢٣٢]بعزاء الجاهلية[٢٣٣] فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا". أي من تعصب لأهل بلدته، أو قرابته، وأراد بهذا التعصب أن يفرّق جماعة الإسلام ويتكبر على الآخرين. فأعضوه بهن أبيه، أي: اشتموه وقولوا له: اعضض بهن أبيك، أي "بذَكره"، وصرحوا بلفظ "الذَكر" ولا تكنوا عنه بالهن؛ وفي ذلك تذكير له بأمر نفسه، وحقيقة أنه نطفة خرجت من عضو أبيه، ففي هذا التذكير تحقير له وزجر؛ ومن هنا يكون العقاب من جنس العمل.

(٢٣١) رواه النسائي في سننه الكبرى ٥/ ٢٧٢ حديث رقم: ٨٨٦٤ وانظر الحديث رقم: ٨٨٦٥ وانظر: ٦/ ٢٤٢ حديث رقم: ١٠٨١١.. وانظر ابن حنبل في مسنده ٥/ ١٣٦ الحديث رقم: ٢١٢٧٥، والحديث رقم: ٢١٢٧٤؛ والحديث رقم: ٢١٢٧١؛ والحديث رقم: ٢١٢٧٢؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٤٢٥ حديث رقم: ٣١٥٣.

(٢٣٢) تعزى: أي انتسب.

(٢٣٣) بعزاء الجاهلية، أي: بنسبها والانتماء إليها.

obeikandl.com

٨ _ المعوِّقات الاجتماعية

يقول تعالى:

"قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ".

الشعراء: ٧٤

obeikandl.com

وهـذا النوع من المعوقات تصب فيه كل الأنواع سـالفة الذكر فكثيرا ما يتم رفض التعايش مع الآخر اتباعا لعادات وتقاليد اجتماعية ترذل التعايش مع الآخر في أحد تنوعاته وتعيبه لا لسـبب غير العادة الاجتماعية ذات البواعث الثقافية، أو الدينيـة، أو السياسـية، أو الاقتصاديـة، أو النفسـية، أو العرقية....الخ؛ حتى وإن كان ذلك على حساب الدين أو العقل أو العلم أو الأخلاق.

فللعـادة تأثيـر قد يفوق تأثير الدين في نفوس جماعات بشـرية؛ يقـول تعالـى:[٢٣٤] "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّـهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ". ويقول تعالى:[٢٣٥]"أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِـكُونَ* بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ* وَكَذَلِكَ مَـا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَـةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَـالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ".

وللعـادة تأثيـر قد يفوق تأثير العقل في نفوس جماعات بشـرية؛ يقول تعالى: "قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ"[٢٣٦].

وللعـادة تأثير قد يفـوق تأثير العلم في نفوس جماعات بشـرية؛ يقول تعالى: "قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ"[٢٣٧].

و للعـادة تأثيـر قـد يفـوق تأثيـر الأخلاق الإنسـانية فـي نفوس جماعات بشرية؛ يقول تعالى: "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا"[٢٣٨].

---

(٢٣٤) لقمان: ٢١.
(٢٣٥) الزخرف:٢١؛ ٢٣ .
(٢٣٦) البقرة:١٧٠.
(٢٣٧) المائدة:١٠٤.
(٢٣٨) الأعراف: ٢٨.

ويبدو أن العادات صاحبة التأثيرات الفائقة للدين والعقل والعلم والأخلاق والمرذلة للتعايش مع الآخر لم يسلم من أسرها مفكرون معاصرون كبار، فاعتبروا العداوة للآخر عادة بشرية طبعية لا حيلة لنا أمامها، والأعجب من ذلك أنهم رأوا أن في تنميتها صناعة رابحة، وبدأ مصطلح "صناعة الأعداء"[٢٣٩] في الظهور بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وبجرأة غير متوقعة أصبحنا نسمع حديثا معاصرا يبرر العداوة للآخر لمجرد أنه آخر من أجل مصالح مجتمعية[٢٤٠] معلنة منها:

- البحث عن الهوية: يقول صامويل هنتنجتون:[٢٤١]"بالنسبة للشعوب الباحثة عن هوية..... فإن العدو ضروري". ويعلل ذلك بقوله:[٢٤٢]"نحن لا نعرف من نكون إلا عندما نعرف (من ليس نحن)، وذلك يتم غالبا عندما نعرف (نحن ضد من)".
- تقوية الهوية: يقول إنجمار كارلسون:[٢٤٣]"لقد أصبح استمرار [فكرة الخطر الخارجي الشامل] .... عنصرا لازما لتقوية الهوية الأوربية التي يعتريها الوهن والضعف". ويقول ديبون[٢٤٤] على لسان أحد شخوص روايته البحيرة الميتة: "إن لم نكره

---

(٢٣٩) ولفكرة صناعة الأعداء جذورها في الفكر الغربي القديم المتمثل في التراث الإغريقي والروماني والذي لا ينتهي الحديث فيه عن الصراع بين الآلهة.

(٢٤٠) ولصناعة الأعداء مصالح سياسية كذلك سبق الحديث عنها عند حديثا عن المعوقات السياسية.

(٢٤١) صامويل هنتنجتون: صراع الحضارات: ص ٣٧.

(٢٤٢) السابق، ص ٣٩.

(٢٤٣) إنجمار كارلسون: الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ص ٢٩. وانظر د. صلاح قنصوة: مقدمة ترجمة كتاب هنتنجتون "صراع الحضارات"، ص ٢٧.

(٢٤٤) روائي فينيسي نسبة لفينيسيا.

ما ليس نحن، فلن يمكننا أن نحب ما هو نحن"[٢٤٥].

- استثارة الذات للعمل من أجل النهضة: يقول صامويل هنتنجتون:[٢٤٦]"لتعريف النفس ودفعها يحتاج الناس إلى أعداء". ويقول هارالد موللر:[٢٤٧]"إن الكراهية تُولّد طاقات إضافية".
- التسلية: يعلق فرانسيس فوكوياما على ما انتهى إليه في أطروحته المعنونة بـ "نهاية التاريخ" من أن (انتهاء الحرب الباردة يعني انتهاء الصراع الكبير في السياسة الكونية وظهور عالم واحد منسجم نسبيا) بقوله: "إن ذلك سيكون مضجرا"[٢٤٨]. وواضح أنه ضجر ناتج عن غياب التسلية من مشاهدة الصراعات البشرية والمشاركة فيها، وهو ما يذكرنا بالتسلية التي يشعر بها مشاهدو مصارعة الديكة ومصارعة الثيران والمشاركين فيها، وكأن قيمة الآخر في عيون هؤلاء ما بين قيمة ثور وقيمة ديك!

---

(٢٤٥) صامويل هنتنجتون: السابق، ص ٣٦.
(٢٤٦) السابق: ص ٢١١ .
(٢٤٧) هارالد موللر: تعايش الثقافات، ص ٩٩.
(٢٤٨) السابق: ص ٥٢.

obeikandl.com